سياسة الدولة الإسلامية

تجاه غير المسلمين خلال عصرى النبوة والخلافة الراشدة

د.عوض سعد محمود عيسى

أستاذ.م فى قسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية بالقاهرة.

(سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال عصرى النبوة والخلافة الراشدة)

اسم الباحث :**عوض سعد محمودعيسى**

الوظيفة: أستاذ.م في قسم التاريخ والحضارة ، كليةاللغةالعربية بالقاهرة–جامعة الأزهر.

إميل:

dr-awad2010@hotmail.com

الملخص :

تقديم:

من سنن الله – تعالى– في الناس عبر التاريخ أن جعلهم مختلفين في أشياء كثيرة :في ألسنتهم وألوانهم ، في طبائعهم وميولهم ، وفي آرائهم .

ومن يختلف معك في الدين هو:اليهودي والنصراني والمشرك..الخ.

ولأن التعايش السلمي أمر به القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد أصبح أهم أركان سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين، وأحد أركان الحضارة الإسلامية.

أهمية هذا البحث:

هدف البحث أن يقلل من مظاهر الكراهية والتعصب الذي تفعله بعض الجماعات المتطرفة،ويؤكد على قيمة المواطنة والتعايش المشترك بين أبناء المجتمع، ويواجه أفكارًا بعيدة عن سماحة الأديان، وإنه فرصة لنشر ثقافة التعايش والتسامح بين الناس، دون النظر لدينهم أو لونهم .

محتويات البحث:

ولقد جاءت الدراسة في:مقدمة ،وفصلين،ثم خاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع

من نتائج البحث:

١)– سياسة التعايش السلمي التي فعلتها الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين، والتي هى جزء من الحضارة الإسلامية؛أمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢)– الرسول– صلى الله عليه وسلم– وقع معاهدات تعايش سلام مع قبائل صغيرة حول المدينة، ليبعث برسالة سلام الجميع.

٣)– كان اتفاق المدينة بين المسلمين ويهود المدينة أساس التعايش السلمي بينهما ،ثم الرسول والخلفاء وقع معاهدات مع النصارى ؛ فأصبح هناك تعايش بين المسلمين واليهود والنصارى .

٤)– يقول الاتفاق أن الناس جميعا يعيشون في وحدة الإنسانية الجامعة ،الكل عليه واجبات وله حقوق، دون النظر للدين أو اللون،وأن حقوق المواطنة ،لا يمكن التنازل عنها أو بعضها.

٥)– الخلفاء بعد الرسول فعلوا مع غير المسلمين.مثل النبي– صلى الله عليه وسلم– .

٦)– كتب المؤرخون العديد من المواقف التاريخية التي تظهر التعايش السلمي مع غيرالمسلمين، منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة.

٧)– الجزية لم تكن اختراعًا إسلاميًا،وإنما كانت موجودة في الأمم السابقة.

٨)– اتضح من التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم أن وحدة أصول الأديان الثلاثة – (يهودية ونصرانية وإسلام)– يجعلها قريبة من بعضها من إلى الحد الذي يسمح بفتح آفاق التحاور بينها.

٩)– أثبت التاريخ أن المسلمين قبلوا يعيشوا مع المشرك والتعايش معه حتى في وقت الحروب معهم،وأن الرسول منذ هجرته كان ،يتمنى توقيع معاهدة سلام وتعايش مع كفار مكة،وتحقق ذلك في صلح الحديبية العام السادس الهجري.

١٠)– المواطنة التي منحتها الدولة الإسلامية للمسلمين والمسيحيين واليهود المقيمين فيها، مُنحت أيضًا لأصحاب الديانات الغير سماوية،مثل المجوس والصابئة.

الكلمات مفاتيح البحث:

(أهل الكتاب ، صحيفة المدينة ، تعايش سلمي ، يهود المدينة ، نصارى ، مشركون ، صلح الحديبية ، الصابئة والمجوس، الجزية).

(The Islamic state's policy towards non-Muslims during the era of prophecy and the Rashedon caliphate)

Researcher name**: Awad Saad Mahmoud Issa**

Position: Professor, Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Cairo, Al-Azhar University

Emile

dr-awad2010@hotmail.com

Abstract :

Submit

From the Sunan Allah – the Almighty – in people throughout history to make them different in many things: in their tongues and colors, in their nature and tendencies, and in their views.

The one who disagrees with you in religion is: the Jew, the Christian, the polytheist, etc.

And because peaceful coexistence ordered by the Holy Quran and Sunnah, it has become the most important pillars of the Islamic state's policy towards non-Muslims, and one of the pillars of Islamic civilization.

The importance of this research

The aim of the research is to reduce the manifestations of hatred and fanaticism by some extremist groups, to emphasize the value of citizenship and co-existence among the members of the society, and to face ideas that are far from the tolerance of religions and an opportunity to spread a culture of coexistence and tolerance among people without regard to their religion or color.

Searchcontents

The study came in: Introduction, two chapters, then a conclusion, and a list of sources and references

From search results

1) The policy of peaceful coexistence that the Islamic State has done towards non-Muslims, which is part of the Islamic civilization; ordered by the Holy Quran and Sunnah.

2) – Prophet – peace be upon him – signed the treaties of coexistence of peace with small tribes around the Madina, to send a message of peace for everyone.

3) – the Madina's agreement between the Muslims and the Jews of the Madina،basis of peaceful coexistence between them, then the

Prophet and the Caliphs signed treaties with the Christians; there became a coexistence between Muslims and Jews and Christians.

4)-The agreement says that all people live in the unity of the whole humanity, all have duties and rights, without regard to religion or color, and that the rights of citizenship can not be waived or some of them.

5) – Rashedon caliphate did with non-Muslims. Like the Prophet – peace be upon him -.

6)-Historians mentioned many historical positions that show peaceful coexistence with non-Muslims since the establishment of the Islamic state in the Madina.

7) – Jizya was not an Islamic invention, but existed in the former nations.

8). It is clear from the peaceful coexistence between Muslims and others that the unity of the origins of the three religions – Judaism, Christianity and Islam – makes them close enough to allow for dialogue between them

9) – History has proven that Muslims accepted to live with the polytheist and coexist with him even in time of war with them, and that the Prophet since his emigration was hoping to sign a treaty of peace and coexistence with the infidels of Mecca, and achieve this in the reconciliation Hudaibiah year 6 AH.

10) –The citizenship granted by the Islamic State to Muslims, Christians and Jews living there was also granted to non-heavenly religions, such as the Magi and Sabean.

Keywords search keys:

(People of the Book -the Madina's agreemen- peaceful coexistence-the Jews of the Madina –Christians- polytheists-reconciliation of Hudaybiyah- Sabians and Magi- Jizya).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة:

من سنن الله – تعالى– في خلقه عبر التاريخ أن جعلهم مختلفين في أشياء كثيرة :في ألسنتهم وألوانهم ، في طبائعهم وميولهم النفسية والعقلية والعاطفية ، وفي آرائهم ونظراتهم في الدين والنفس والمجتمع وما يحيط به،قال تعالى :"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ".(١)

والمخالف هو:كل من خالفك في أي شيء ؛ فهو:اليهودي والمسيحي والمشرك..الخ، فكل من لا يرى رأيك أو عملك فهو لك مخالف.

ولأن التعايش السلمي حضَّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية،فقد أصبح أهم ركائز سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين،وسمة من سمات حضارتها.

ففي سبيل الحدِّ من مظاهر الكراهية والتعصب الذي تروج له بعض الجماعات والتيارات المتشددة،والتأكيد على قيم المواطنة والتعايش المشترك بين أبناء المجتمع،ومن أجل العمل على مواجهة الأفكار الخارجة عن سماحة الأديان، واتخاذ كافة السبل من أجل نشر ثقافة التعايش والتسامح والأُخوة ،فقد رأيت أن أقوم بإعداد هذا البحث،وهوبعنوان:

---

(١)– سورة هود:آية ١١٨.

(سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال عصرى النبوة والخلافة الراشدة)،راجيًا الله عزوجل أن يسهم فى الحدِّ من مظاهر الكراهية والتعصب والعنف باسم الدين .

ولقد جاءت الدراسة في فصلين،يتقدمهما مقدمة،ثم تعقبهما خاتمة تتضمن أهم نتائج البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع،إضافة إلى فهرس عام للموضوعات.

جاء الفصل الأول بعنوان:"سياسة الدولة الإسلامية تجاه أهل الكتاب"،ويتضمن:

(المبحث الأول)-" صحيفة المدينة أساس التعايش"، وفيه الحديث عن:

تمهيد: أهل الكتاب في القرآن الكريم.

أولا: معاهدة النبي- صلى الله عليه وسلم- مع اليهود(صحيفة المدينة).

أ)- ظروف توقيع الصحيفة.

ج) - تاريخ توقيعها وأطرافها.

د) – نصوص الصحيفة الخاصة باليهود والتعليق عليها.

ب)- الأدلة على صحة الصحيفة تاريخيًا.

هـ) – نقض اليهود للصحيفة.

ثانيًا: من عهود النبي والخلفاء الراشدين للنصارى

وجاء (المبحث الثاني) بعنوان " مظاهر تعامل الدولة الإسلامية مع أهل الكتاب"،وقد تضمن المظاهر الآتية: زيارة مرضاهم- أكل طعامهم- الزواج منهم- التعامل معهم اقتصاديًا-تبادل الهدايا بين الطرفين- الصلاة في دور العبادة – عدم ظلمهم- الوصية بهم- والقيام بكفالتهم؛أعقب ذلك قراءة جديدة لمصطلح " الجزية في التاريخ الإسلامي "، وأنها لم تفرض

بقصد الذل والإهانة ، بل كانت بديلاً عن الجندية ومصالح أخرى تقدمها الدولة لهم، إضافة إلى أنها لم تكن اختراعًا إسلاميًا.

الفصل الثاني:"سياسة الدولة الإسلامية تجاه المشركين"

ويتضمن: (تمهيد) عن بعض ما جاء في القرأن الكريم عن طرق التعايش معهم،و(المبحث الأول) بعنوان: (معاهدات الرسول – صلى الله عليه وسلم– مع المشركين)،ويتضمن أولا:معاهدات الرسول مع القبائل العربية حول المدينة، مثل قبيلة جهينة،و بني ضمرة، وبني مدلج،وثانيًا: معاهدة الرسول مع قريش،والتي عرفت في التاريخ الإسلامى "بصلح الحديبية"،مع إبراز أنواع التعايش في هذه

المعاهدات من خلال استعراض بنودها .ثم بيان سياسة الدولة الإسلامية تجاه الصابئة ،و المجوس.

ثم خاتمة البحث التي تضمنت أهم نتائجه ، ويتبعها قائمة بأهم المصادر والمراجع ،وفهرس عام للموضوع.

وفي النهاية أسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

الفصل الأول:

"سياسة الدولة الإسلامية تجاه أهل الكتاب"

المبحث الأول: صحيفة المدينة أساس التعايش، وفيه:

تمهيد: أهل الكتاب في القرآن الكريم.

أولا: معاهدة النبي- صلى الله عليه وسلم- مع اليهود(صحيفة المدينة).

أ)- ظروف توقيع الصحيفة.

ب) - تاريخ توقيعها وأطرافها.

ج) – نصوص الصحيفة الخاصة باليهود والتعليق عليها.

د)- الأدلة على صحة الصحيفة تاريخيًا.

هـ) – نقض اليهود للصحيفة .

ثانيًا: من عهود النبي والخلفاء الراشدين للنصارى

تمهيد – (أهل الكتاب في القرآن الكريم)

يطلق مصطلح "أهل الكتاب" في القرآن الكريم على اليهود والنصارى[١]،ومن سماحة الإسلام أنك تجد أن أكثر الكتب السماوية ذكرًا في القرآن هما التوراة والإنجيل،وفي القرآن الكريم سور تحمل أسماء أعيان اليهود والنصارى،مثل سورة آل عمران،وسورة مريم،وسور أخرى حملت أسماء معجزاتهم مثل البقرة وسورة المائدة.[٢]

وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدعوإلى نشر روح التسامح والانفتاح على الأديان الأخرى،وتدعوللمحبة بدلاً من الكراهية والبغضاء ،ومن ذلك قوله تعالى:(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)[٣]، ومعنى هذه الآية، أن الله طلب من أهل الكتاب–(اليهود والنصارى)– أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويخلصوا له العبادة ، ويُقبلوا إلى كلمة لا تختلف فيها الرسل والكتب المنزلة والعقول السليمة ، لأنها كلمة

---

[١]– القرطبي:"محمد بن أحمد الأنصاري" الجامع لأحكام القرآن،تحقيق/ محمد البلاوي وآخرين،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،بدون تاريخ،ج٣ ص١١١،محمد رواس قلعجي وآخرون: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان،ط ٢، ١٩٨٨م،ج١ص٩٦.

[٢]– واللافت للنظر ،أن موسى ذكر باسمه فى القرآن (١٣١) مرة،وذكر عيسى باسمه(٢٥)،بينماذكر محمد باسمه (٤) مرات فقط.محمد حمادة :مفهوم التسامح في الإسلام بين الماضي والحاضروأثره في التواصل ،رؤية تحليلية ، نشر الباحث ، القاهرة سنة ٢٠١٧م،ص ٩٩.

[٣]– سورة آل عمران،آية ٦٤.

عادلة مستقيمة ليس فيها ميل عن الحق؛ فإن أعرضوا عن دعوة الحق ، وانصرفوا عن موافقتكم بسبب ما هم عليه من عناد وجحود فلا تجادلوهم أيها المسلمون،ولا تحاجوهم ، بل قولوا لهم : اشهدوا : بأنا مسلمون مذعنون لكلمة الحق ، بخلافكم أنتم فقد رضيتم بما أنتم فيه من باطل.[١]

فالآية دعوة انطلقت من الإسلام إلى الدينيْن للوقوف على كلمة يتفق عليها الجميع وهى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به،وأنه ليس لأحد من خلقه كائنًا من كان حق التشريع،فالله تعالى هو المعبود وحده،وله الأمر والنهى وحده،وبيده سلطان التحليل والتحريم لا لأحد غيره،وهذه الكلمة السواء أساس التعايش والتسامح بين هذه الأديان السماوية،وأساس كل حوار ينشأ فيما بين أتباعها.

كما إنها تؤكد على أمرين،**الأول**:دعوة أهل الكتاب الى اللقاء والتواصل،وليس القطيعة التي تسبب البغض والاحتقان؛**الثاني**:إحياء وتفعيل الثوابت الدينية لإرساء قواعد التعايش المشترك بين الأديان.[٢]

وأهل الكتاب كما هم في الواقع وكما كانوا من قبل قسمان: أ)- أهل الذمة،وهم الذين يعيشون بين المسلمين وتحت سلطانهم،وقد أُمرنا بالمحافظة على عهدهم والإحسان اليهم. ب)- المحاربون،ممن اتخذوا موقف العداء ضد المسلمين وهؤلاء

---

[١]- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط(١) ١٩٩٧م،ج٢ص١٣٤.

[٢]- محمد حمادة : مفهوم التسامح ، ص٩٩.

هم الذين ظَلَمُوا منهم ويرد بأسهم بالقوة.[١]،قال تعالى: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [٢]، والجملة الأخيرة من الآية (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) هي خطاب للقسمين منهم حتى ينصفون ويتحاكمون إلى العقل والثوابت بدلاً من القوة ، وذلك لمن تأمل.[٣]

وانطلاقًا من هذا التوجيه القرآني ، ينبغي علينا إذا رأينا أو سمعنا من أهل ذمتنا(أهل الكتاب) ما يسوؤنا،فقد أمرنا الله عز وجل ألا نقابل السوء بالسوء حتى مع المخالفين لنا فى الدين،بل دعانا إلى التسامح والعفو،قال تعالى:"وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٤]،جاء فى سبب نزول هذه الآية:أن (كعب ابن الأشرف اليهودي) كان يهجو النبي– صلي الله عليه وسلم–، ويُحَرِّض عليه كفار قريش في شعره،وكان

---

[١]– مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، مصر ١٩٩٠م،ج١ص٦٥٤.

[٢]– سورة:العنكبوت،آية٤٦.

[٣] – عن هذا المعنى يراجع ،ابن الجوزي "عبد الرحمن بن على بن محمد"،زاد المسير فى علم التفسير ،المكتب الإسلامى، بيروت،ط(٣) ١٤٠٤هـ ، ج٦ ص٢٧٥.

[٤]– سورة:البقرة،آية ١٠٩.

المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله – صلي الله عليه وسلم– حين قدمها،فأُمر النبي بالصفح عنهم.[١]

كما يجب علينا ونحن نحاور أهل الكتاب أن لا نسيء الظن بهم جميعًا ، فالناس عمومًا مفطورون على الخير والشر،وهم متفاوتون في إقبالهم على الخير والشر قربًا وبعدًا،وعلى ضوء ذلك يكون قربهم من الحق وبعدهم عنه،قال تعالى:

" وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ".[٢]

إن الدولة الإسلامية منذ عصر الرسول– صلى الله عليه وسلم– أقرَّت حقوقًا لرعاياها،والحقوق التى أقرها الإسلام للإنسان المسلم وغير المسلم " ليست مجرد حقوق من حق الفرد أو الجماعة أن يتنازل عنها أو عن بعضها،وإنما هى ضرورات إنسانية – فردية كانت أو جماعية–، ولا سبيل إلى حياة الإنسان بدونها، حياة تستحق معنى الحياة ،ومن ثم ، فإن الحفاظ عليها ليس مجرد حق للإنسان، بل هو واجب عليه، يأثم هو ذاته–

---

[١] – الطبري:"محمد بن جرير"،جامع البيان في تأويل القرآن، أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ، ط١ ،٢٠٠٠م ج٢ص٤٩٩ ، ابن الجوزي زاد المسير، ج١ص١٣١، ابن كثير" إسماعيل بن عمر بن كثير"، تفسير القرآن العظيم ،تحقيق:سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢،١٤٢٠هـ،ج١ص٣٨٢.

[٢]– سورة آل عمران،آية ٧٥.

فردًا أو جماعة – إذ هو فرط فيها،وذلك فضلًا عن الإثم الذي يلحق كل من يحول بين الإنسان وبين تحقيق هذه الضرورات".[١]

وعندما نريد أن نحدد حقوق الآخر التى أقرها الإسلام أو المبادىء والقواعد التى حددها الإسلام لتحكم العلاقة بين المسلمين والآخر،فمرجعنا في هذا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،وعليهما بنيت كل بنود صحيفة المدينة،مع التدقيق في الاجتهاد،فما كان يصلح بالأمس في ظل ظروف معينة،يجب إعادة النظر فيه في ظل الظروف الراهنة،ذلك أن الشريعة وضع إلهي ثابت،فهى(دين ، وأصول ، وثوابت)،بينما الفقه متطور،لأنه فروع تواكب مستجدات:الزمان والمكان والوقائع والمصالح الأفهام. [٢]

بهذه النظرة تعامل الإسلام مع الآخر،وتعامل غالبية حكام المسلمين الذين طبقوا ما أمرهم الحق به،أما حالات الاضطهاد التي تعرض لها الآخر في عصور وعهودمعينة،فهى حالات استثنائية،صدرت عن مسلمين أساؤا فهم الدين الحنيف، أو عن حكام تميزت عهودهم بالظلم،ظلم الآخر والمسلمين على حد سواء .[٣]

---

[١] – محمد عمارة:الإسلام وحقوق الإنسان، ضرورات لا حقوق،سلسلة عالم المعرفة،عدد ٨٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت مايو١٩٨٥م،ص١٥.

[٢] – محمد عمارة:الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دارالشروق،مصر ط٢٠٠٣م ص١١.

[٣] – أحمد الجهني ومحمد مصطفى:الإسلام والآخر،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب(مكتبة الأسرة) ٢٠٠٧م، ص ٢٢ ،٢٥.

أولا:(معاهدة النبي – صلى الله عليه وسلم- مع اليهود(صحيفة المدينة)

أ)- ظروف توقيع الصحيفة

كانت المدينة قبل البعثة مليئة بالاضطرابات السياسية،فعلى الرغم من أن معركة بُعاث-(حوالي ٥١٥م)- لم يعقد على أثرها سلام رسمي،إلا أن البطون المتحاربة وحلفاءها أصبحت قواها خائرة لدرجة أنه لم يكن بوسعها الاستمرار في القتال،وكان هناك فراغ سياسي كان اليهود يتمتعون فيه بنفوذ كبير.

ولما نزل – صلي الله عليه وسلم- المدينة وفيها اليهود، كان يعرف أنهم أصحاب أقدم الأديان و أكثر الرسل والأنبياء ؛ولم يسب الرسول دينهم ولم يسفِّه رسلهم وأنبياءهم؛ولم يُعمل فيهم السيف فقتل وسفك الدماء ،ولم يطردهم ويشرد مَن

خلفهم، بل إنه – صلي الله عليه وسلم- اعترف بهم ورضى بالعيش معهم وأحسن رعايتهم ومعاملتهم.

ومنذ قدومه المدينة سعى الرسول لإنشاء مجتمع يقوم على الأمن ويضمن بدرجة كبيرة عدم تقاتل أعضائه فيما بينهم بالسلاح ويجعلهم يعمدون إلى تسوية منازعاتهم بالطرق السلمية.

وقد تحقق سعي الرسول لإنشاء هذا المجتمع من خلال كتابة وثيقة تعايش،حيث إنه جمع كل أطياف المجتمع واتفق معهم على وضعها بحيث تضمن للجميع حقوقهم وواجباتهم،سميت بدستور المدينة أو صحيفة

المدينة،والتي بُنيت على قاعدة القانون مع مبدأين:مبدأ كفالة الحقوق الفردية عن طريق سلطة قضائية محايدة،ومبدأ المساواة أمام القانون.[١]

ومن المعروف أنه لم يكن لدى عرب الجاهلية شيء يمكن أن يوصف بالقانون الوضعي،ولكن نظام القِصاص الذى كان موجودًا ، كان يقلل من حالات القتل دون سبب، كما أنه أصبح سمة هامة من سمات المجتمع العربي قبل الإسلام،وقد حاولت الصحيفة أن تستحدث قواعد لقانون وضعي من أغراضه،تسوية النزاعات دون عنف.

لذلك،فقداستشار النبى أصحابه- ولابد أنه استشار جيرانه من غير المسلمين-؛وقررالجميع أن يُكوِّنوا(دولة)؛ وحُرر دستور هذه (الدولة) في وثيقة من حظنا أن نصها حُفظ لنا بالكامل.

وإذا كان هذا النص هو دستور أول دولة إسلامية،فإنه في الوقت ذاته أول دستور مكتوب لدولة من الدول في العالم أجمع.

لم يكن هذا الدستور أمرًا صادرًا من سلطة عليا تنظم شئون الناس فحسب، بل كان أيضًا وثيقة مكتوبة،تتحدث المادة الأولى منه عن بدء أمة إسلامية(أمة سياسية ودينية واجتماعية) في الوقت ذاته .

الصحيفة وثيقة في غاية الأهمية لفهم وضع غير المسلمين في مجتمع تسوده الدولة الإسلامية؛إنها تضع الأسس لقيام أمة متعددة الثقافات ومتعددة الديانات،المجموعة المهيمنة فيها تكون دائمًا مسلمة. [٢]

---

[١]- بركات أحمد:محمد واليهود، نظرة جديدة،ترجمة،محمود على مراد،مكتبة الأسرة،مصر ١٩٩م،ص ٨٢ .

[٢] – حميد الله:أول دستور مكتوب فى العالم،لاهور،الهند ١٩٨٩م، ص ٣٨.

ب)- تاريخ توقيعها وأطرافها

يؤخذ من المصادر أن هذه الوثيقة حُررت في العام الأول من الهجرة،وقد صدرت بعد وقت قصير من وصول الرسول - صلي الله عليه وسلم- إلى المدينة.[١] غير

أن هناك من ذكر أن هذا الاتفاق عُقد بعد غزوة بدر (في السنة الثانية من الهجرة) وعند موت كعب بن الأشرف؛و كتبها رسول الله تحت العذْقُ- (النخل)- الذي في دار بنت الحارث،فكانت تلك الصحيفة بعد رسول الله عند علي بن أبى طالب .[٢]

وأطرافها:

اليهود:

من المرجح أن اليهودية نشأت بمصر حين نزل الوحى على سيدنا موسى،ثم حدث صدام بين موسى وحاكم مصر،فاستطاع موسى أن يخرج ببني إسرائيل من مصر بعد أن نجاهم الله من فرعون وبطشه،ثم انتقلوا إلى

---

[١] - الطبري:تاريخ الرسل والملوك،دار المعارف،مصر،ط٤ ١٩٦٧م، ج٢ص٤٠٢.

[٢] - أبو داود"سليمان بن الأشعث السجستاني"،السنن،تحقيق: أحمد سعد علي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصرط١ ١٩٥٢م،ج٣ص٢،البيهقي"أبوبكرأحمد بن الحسين"، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني،مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،ط١ ١٣٤٤ هـ،ج٣ ص١٨٣،محمد حميدالله : مجموعة الوثائق السياسيةللعهد النبوي والخلافة الراشدة،دارالارشاد،بيروت،١٩٦٩م،ص ٤٤١ ،٤٤٢.

الأراضي المقدسة بفلسطين،ومنها تسربت اليهودية إلى شبه الجزيرة العربية.

كان في المدينة- طبقًا لما يقوله المؤرخون- ثلاث قبائل يهودية من نسل يعقوب وهم:بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة؛ ولكن الصحيفة لا تذكر القبائل اليهودية صراحةً باعتبارها كيانات مستقلة؛بل هى على العكس تسمي عشر قبائل عربية أسلمت،لتقول:إن اليهود حلفاء هذه القبيلة العربية أو تلك،ولهم هذه الحقوق أو تلك؛ومعنى هذا- فيما يبدو-هو أن هؤلاء اليهود ينضمون إلى المدينة-(لدولة الاتحادية)-على قدم المساواة باعتبارهم حلفاء لقبائل من المسلمين.

والدليل على هذا،أن ابن هشام يخبرنا في فقرة هامة أن معظم بني قينقاع كانوا حلفاء للخزرج،بينما بنو النضير وبنو قريظة كانوا حلفاء للأوس.[1]

الأنصار:

يمكن التمييز بين مجموعتين من أهل المدينة في الجاهلية: أفراد الطبقة الحاكمة، أي الأنصار، ومواليهم الذين كانوا يتكونون من البطون اليهودية وتلك التي دخلت اليهودية، وكانت نية الرسول- بعد قدومه المدينة- تتجه إلى توحيد جميع هذه العناصر ولكن مع ترك علاقات اليهود القديمة مع الأوس والخزرج كما هي وعدم استبعاد بني قينقاع وبني النضير وبني

---

[1] – "أبومحمد عبدالملك بن هشام بن أيوب"، السيرة النبوية، دار الفجرللتراث، مصرط(٢)٢٠٠٤م ،ج٣ص٦ ، ويراجع أيضًا:ابن قيم الجوزية "محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله"،أحكام أهل الذمة،طبعة(٢)، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠١هـ ، ج ٢ ص ٨٣٨.

قريظة من الأمة،وكون الأمة كانت تتضمن المشركين واليهود دلالة على أنها كانت تنظيماً لطوائف لا لأفراد. [١]

المهاجرون:

كان المهاجرون يُعتَبرون أيضاً كبطن مستقل وكان ينبغي أن يحتفظوا بوضعهم ويصبحوا أعضاء في الأمة بهذا الشكل، وقد أدمج الرسول التنظيم القديم في الكيان الجديد،وأصبحت البطون إطار الأمة الجديد،وكان على الرسول – صلي الله عليه

وسلم– أن يتصرف على هذا النحو إذا أراد أن يسود القانون والنظام في المدينة، وأن يجعل إقليم هذا البلد كله حرمًا آمنًا.[٢]

ج) – نصوص الصحيفة الخاصة باليهود والتعليق عليها.

– وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

– وإن يهود "بني عوف" أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته.

– وينطبق على يهود بني النجار،ويهود بني الحارث ، ويهود بني ساعدة، ويهود بني جشم ، ويهود بني الأوس، ويهود بني ثعلبة ،ويهود بني جفنة، ويهود بني ثعلبة ، ويهود بني الشطيبة ؛ ما ينطبق على يهود بني عوف.

– وإن بطانة يهود كأنفسهم .

---

[٢]– بركات أحمد:محمد واليهود،ص٨٤،٨٥.

[٢]–بركات أحمد:محمد واليهود ،ص٨٥.

– وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد – صلى الله عليه وسلم– ،وإنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبرَّ هذا.

– وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم،وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم،وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم.

– وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

– وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

– وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

– وإن ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث،أوشجار يخاف فساده،فإن مرده إلى الله وإلى رسوله،وإن الله على أتقى مافي هذه الصحيفة وأبره.

– وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

– وإن بينهم النصر من دهم يثرب.

– وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه،وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك،فإن لهم ما على المؤمنين إلا من حارب في الدين،على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبلهم.

– وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم،وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة،إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار لمن بر وأتقى،ومحمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم–. [١]

هذه البنود هي بعض ما جاء في الصحيفة مما يتعلق باليهود ، فهى تجعل اليهود أمة واحدة مع المسلمين ، مع بقائهم على دينهم ، ومعنى أمة هنا الجماعة،أي جماعة اتفقت على صيغه وشروط للتعايش فيما بينها رغم اختلافها في أديانها،وعدم الخروج على ما تم الاتفاق عليه،مع لزوم النصح والتناصح والبر،وعدم الأذى والضرر فيما بينهم،وأن قريشًا عدو لا يجوز مساندته أو الوقوف معه،ومن نكث عهده فالهلاك حقه ومصيره،والأمر يطبق على الجميع،وهذاهومفهوم التعايش واحترام الآخر.[٢]

---

[١]– ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢ص٩٢؛ ووردت نصوصها عند أبي عبيد" القاسم بن سلام" ، الأموال،تحقيق: محمد خليل هراس،مصر ١٩٦٨م ،ص٢٩٤ – ٢٩٦، وابن زنجويه" أحمد بن مخلد "،الأموال ، تحقيق/شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، السعودية،ط(١) ١٩٨٦م،ج٢ص٤٦٦ – ٤٧٢، حميد الله: مجموعة الوثائق ،ص ٤١–٤٧، أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة ،محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، مكتبة العبيكان ، الرياض،ط(٥)،ج١ص٢٨٥ ، ٢٨٤.

[٢]– محمد حمادة:مفهوم التسامح،ص٢٩.

ويمكن التعليق على بنود الصحيفة كالآتي:

١)- قيادة الدولة:

الرسول – صلى الله عليه وسلم- هو الرئيس الأعلى لسكان المدينة، وتُعْرَض عليه القضايا الكبرى وحالات الخلاف بين الأفراد ليفصل فيها،وموضوع الحرب والسلم هو من اختصاص النبي أيضًا. [١]

٢)- المواطنة للجميع:

حيث إن المواطنة في الدولة الإسلامية لم تكن محصورة في المسلمين وحدهم، بل نصت الصحيفة على اعتبار اليهود المقيمين في المدينة من مواطني الدولة،وحددت ما لهم من حقوق سياسية ودينية متساوية مع حقوق المسلمين، فذمَّة الله مكفولة لجميع الطوائف.[٢]

٣) – الحرية الدينية:

حيث كفلت إحدى مواد الصحيفة لليهود – ولغيرهم أيضًا- حريتهم الدينية، فحرية العقيدة مكفولة للجميع[٣]،"وأن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم".[٤]

---

[١] – بركات أحمد :محمد واليهود،ص٩٢.

[٢]-أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٩٠، محمد سليم العوا:في النظام السياسي للدولة الإسلامية،المكتب المصري،القاهرة ،ط٥ ،١٩٨١م، ص٥٤،محمد أمحزون: منهج النبي- صلى الله عليه وسلم- في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،مصر ط٣ ٢٠٠٦م،ص٣٠٠.

[٣]-أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٩٠ ، محمد أمحزون: منهج النبى،ص٣٠٠.

[٤]- ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢ص١١٤.

٤)-خصوصية الطوائف:

تحدثت الصحيفة عن خصوصية لكل طائفة من الطوائف تتفق وعقيدتها وعاداتها وتقاليدها لا يتدخل فيها الآخرون،وعلى الرغم من هذا فالمسلمون وغير المسلمين

أصدقاء حميمون، وتكون العلاقات بينهم علاقات شرف، ولا خيانة بينهم.[١]

٥)-الدفاع عن الوطن:

فالبند الأول يدل على التزام اليهود بدفع قسط من نفقات الحرب الدفاعية عن المدينة،وعليه فإن على سكان المدينة مسلمين وغير مسلمين أن يتعاونوا ماديًا

وأدبيًا وعسكريًا،وعليهم أن يردوا متساندين أي اعتداء قد يوجه لمدينتهم.[٢]

٦) – محاربة الجريمة:

فقد حددت الصحيفة مسؤولية الجرائم وحصرتها في مرتكبيها،ومن حق "الجماعة" أن تعاقب المفسد وتؤمِّن المطيع،لذلك فإنه يحظر إيواء أي

---

(١) – بركات أحمد :محمد واليهود،ص٩٢.

(٢)-أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٨٦،محمد أمحزون: منهج النبى،ص٣٠٠.

مجرم،والمجرم يناله العقاب وإن كان من المتعاهدين. [١]،"إلا من ظلم وأثم؛فإنه لا يوتغ-(يهلك)- إلا نفسه وأهل بيته".[٢]

٧) – شخصية العقوبة:

فمما جاء فيها "وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه،وإن النصر للمظلوم" [٣]،وهومبدأ جديد في ذلك الوقت الذي كانت العقوبة في صورة الانتقام من الجاني لا تقف فيه عند حد في نيلها من أقارب الجاني وأوليائه ، كما أنه يتصل بواحدة من أهم وظائف الدولة وسلطاتها

وهى وظيفة إقرار القانون والنظام، أو ما يطلق عليه "بالسِّلْم الاجتماعي"،وما كان لدولة أن تستحق هذا الاسم مالم يكن قانونها محترمًا فوق أرضها،وقضاؤها عادلاً في تقرير الحقوق لأصحابها .[٤]

٨) – إجارة قريش:

فقد منع أحد بنود الصحيفة اليهود من إجارة قريش أو نصرها حيث جاء" وإنه لاتجار قريش ولا من نصرها" [٥]، وكان النبى – صلى الله عليه وسلم- يستهدف من هذا ،التعرض لتجارة قريش التي تمرُّ غربي المدينة

---

[١]– نفس التوثيق السابق.

[٢]– ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢ص١١٤.

[٣]– نفس المصدر السابق.

[٤]–محمد العوا:في النظام السياسي للدولة الإسلامية،ص٦٨، محمد أمحزون: منهج النبى،ص٣٠١.

[٥]– ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢ص١١٤.

في طريقها إلى الشام، فلابد من أخذ هذا التعهد على اليهود لئلا تؤدي إجارتهم لتجارة قريش إلى الخلاف بينهم وبين المسلمين.[١]

٩)- العلاقة مع العرب المتهودين:

وقد جاء في عدة بنود من الصحيفة تحديد العلاقة مع المتهودين من الأوس والخزرج،وقد نسبتهم البنود إلى عشائرهم العربية،وأقرت حلفهم مع المسلمين.[٢]،فقد جاء " وإن يهود بني عوف أمَّة مع المؤمنين"[٣]

١٠) – خروج اليهود من المدينة بإذن:

كما منع أحد بنود الصحيفة اليهود من الخروج من المدينة إلا بعد استئذان الرسول – صلى الله عليه وسلم–، وهذا القيد على تحركاتهم كان يستهدف منعهم من القيام بنشاط عسكري كالمشاركة في حروب القبائل خارج المدينة مما يؤثر في أمنها الاقتصادي وسلمها الاجتماعي، واليهود بصفتهم مواطنين في الدولة الإسلامية يجب أن يخضعوا لنظامها العام.[٤]

١١) – نظام الأحلاف:

كما أن المعاهدة امتدت بموجب أحد بنودها لتشمل حلفاء المسلمين وحلفاء اليهود من القبائل الأخرى؛إذ شرط هذا البند على كل طرف

---

[١]–أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٩٠.

[٢]–أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٩٠،محمد أمحزون: منهج النبى،ص٣٠٠.

[٣]– ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢ص١١٤، ويراجع ص ١٤ من هذا البحث.

[٤]–أكرم العمرى:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٩٠.

مصالحة حلفاء الطرف الآخر،لكن المسلمين استثنوا قريشًا "إلا من حارب الدين"[١]،لأنهم كانوا في حالة حرب معهم.[٢]

١٢) – المدينة حرم آمن:

كذلك اعتبرت منطقة المدينة حرمًا آمنًا بموجب البند الذي يقول" وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة "[٣]،أي لا يقتل صيدها، ولا يقطع شجرها.وبذلك أظهرت هذه المادة الأمن داخل المدينة ومنعت الحروب الداخلية. [٤]

١٣) – اليهود– طبقًا للصحيفة– لم يُطلب منهم أن يدفعوا جزية. [٥]

وتدلّ الصحيفة دلالة واضحة على الخطوط التي أقام النبي الأمة على أساسها،إنه دستور مكتوب يتحدث عن عامة أجهزة حكومة ذلك الوقت وعن الاحتياجات السياسية الخاصة للأمة الوليدة:(الدفاع،والتشريع،وإدارة العدالة،وأمور أخرى) ،لقد كانت أمة متعددة الديانات، ولم يكن أساسها إقليميًا أو قبليًا. [٦]

---

[١]– ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢ص١١٤،ويراجع ص ١٤ من هذا البحث.

[٢]–أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٩١ ،٢٩٢،محمد أمحزون:منهج النبى،ص٣٠٢.

[٣]– يراجع ص ١٤ من هذا البحث.

[٤]–أكرم العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج١ص٢٩٢، محمد أمحزون: منهج النبى،ص٣٠٢.

[٥] – بركات أحمد :محمد واليهود،ص٩٢.

[٦] – حميد الله:مجموعة الوثائق،ص٤٤٥،بركات أحمد:محمد واليهود،ص٩٢ ،٩٣.

والحقيقة أن هذه الوثيقة جاءت واضحة في نصوصها على غير مثال سبقها، وشملت نصوصها أغلب ما احتاجته الدولة الناشئة في تنظيم شؤونها السياسية، وتتضح دقة صياغة هذه الوثيقة،من خلال النظر في نصوص المعاهدات الدولية،

والدساتير في العصر الحديث،وما تثيره نصوصها من خلاف في المعنى والتطبيق.[١]

وهكذا تجلت عظمة الإسلام في هذه الصحيفة،حيث اعترف الإسلام بكل "الآخرين"، حتى هؤلاء الذين لا يعترفون به دينًا سماويًا ، ولا بكتابه وحيًا إلهيًا ،ولا بنبيه – صلى الله عليه وسلم–رسولاً! [٢]

فالناس شعوب وقبائل،في إطار الوحدة الإنسانية الجامعة،قد عرفوا التعددية منذ صحيفة دولة المدينة على عهد الرسول،ولا وجود ولا قيام لهذه التعددية إلا في إطار وحدة المرجعية الحضارية،والقبلة الثقافية الواحدة،والاتفاق في منظومة القيم والأخلاق،وعن هذه الحقيقة – حقيقة تنوع واختلاف وتمايز الرعية فى إطار الوحدة الجامعة – تعتبر الوثيقة المنهجية الأولى في تراثنا الدستوري والسياسي.

وهكذا تنوعت الشرائع الدينية "للأمة" في إطار المنظومة الإيمانية والأخلاقية للدين الإلهي الواحد .. وتنوعت لغات الرعية وقومياتها في إطار وحدة الأمة.. وستتنوع– بعدذلك – الأقاليم والولايات الإسلامية في وحدة دار الإسلام،وستكون "الحضارة الإسلامية" الواحدة،إنجازًا إسلاميًا بلوره

---

[١] – محمد العوا :في النظام السياسي للدولة الإسلامية،ص ٥٦،٥٧.

[٢] – محمد عمارة:في المسألة القبطية حقائق وأوهام ،مكتبة الشروق،مصرط١، ٢٠٠١م ص٥،٦

وأسهم في بنائه كل الفرقاء الذين تمايزوا في:الدين والمذاهب واللغات والأقاليم؛الكل سيصطبغ بصبغة الثقافة والحضارة الإسلامية، بعد أن استوعبت – هذه الحضارة – كل المواريث القديمة والشرائع السابقة في سماتها وقسماتها. [١]

د)-(الأدلة على صحة الصحيفة تاريخيًا)

وصحيفة المدينة صحيحة تاريخيًا بشهادة المستشرقين أنفسهم،وذلك لعدةأسباب منها:

- أنه لم يكن لأحد أن يجرؤ ويزيف مثل هذه الوثيقة بعد وفاة الرسول- صلي الله عليه وسلم - ويدرج فيها غيرمسلمين في "الأمة"،بل ويحتفظ فيها بمواد ضد قريش،أو يجعل أهمية الرسول قليلة بهذه الدرجة،فلم يُذكر إلا مرة واحدة. [٢]

- ومنها:وجود تعبيرات قديمة كثيرة مثل:على رَبْعَتهم،ومُفْرِج،ودَسِيعة، واباء ،واعتبط،وأوتغ،فهى تؤكد أن لغة الصحيفة لغة قديمة وليس فيها ما يحمل الطابع الإسلامي. [٣]

---

[١] – محمد عمارة: في المسألة القبطية،ص١٠.

[٢]–بركات أحمد:محمد واليهود، ص٨٤ .

[٣]– محمود على مراد:تحليل نقدي لصحيفة يثرب ولآراء المستشرقين بشأنها ، نشر الباحث ٢٠١٢م،ص١٧٤." ربعتهم":حالتهم وشأنهم،والمعنى:الحال التي جاء الإسلام وهم عليها؛و"المفرح": المثقل بالدين،وتروى بالجيم،وهي بنفس المعنى،"والدسيعة":العظيمة،وهي في الأصل:ما يخرج من حلق البعير إذا رغا،وأراد بها هنا: ما ينال عنهم من ظلم؛ و "اعتبطه":أي قتله بلا جناية توجب القتل؛و"أوتغ":أى أهلك.عن هذه الألفاظ يراجع،ابن منظور"محمد بن مكرم"،لسان العرب، دار صادر ،بيروت،ط١ (دت)،ج٢ص٥٤١، وج٧ ص٣٤٧، وج٨ص ٨٤،٩٩، ٤٥٨ ،حسين علي الأحمدي :" مكاتيب الرسول" ، دار صعب بيروت،(دت)، ج٢ ص٢٥٥ ،٢٥٦ .

– وهذا إضافة إلى وجود نصوص منها في كتب الحديث النبوي والتاريخ وغيرها ومن ذلك:

– "أن يشرب حرام"، و"حمايةَ المحدِث"،و"إجارة أدناهم"، و"النهي عن محالفة مولى شخص آخر"؛ومن ذلك قول أحدهم:خطبنا عليٌّ– رضى الله عنه–فقال: (ما عندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة،فيها الجراحات،وأسنان الإبل،والمدينة حرم ما بين عير إلى كذا،فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى فيها

محدثًا،فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل،ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك،وذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه مثل ذلك).

ويقال إن عليًا احتفظ بالصحيفة في جراب سيفه؛ وقد سئل ذات يوم عما إذا كان رسول الله قد ترك شيئًا غير القرآن فأجاب:القرآن وما في هذه الصحيفة– (التي كانت في جراب سيفه)–؛وحين كان يسأل عن مضمون الصحيفة المذكورة،يجيب

في اقتضاب بكلمات أو تعبيرات يُفهم منها أن فيها كلامًا عن العقل،وعن فدية الأسير،وأنه لا يُقتل مؤمن في كافر.[١]

-أن إحدى بنات الرسول أعلنت في مسجد المدينة أنها تجير زوجها السابق-(وكان مشركاً من أهل مكة)- الذي طُلقت منه بالإسلام والذي دخل المدينة سرًا ؛عن عائشة رضي الله عنها قالت : صرخت زينب رضي الله عنها : أيها الناس إني قد أَجَرْتُ أبا العاص بن الربيع قالت: فلما سلَّم رسول الله – صلي الله عليه وسلم- من صلاته أقبل على الناس فقال:"أيها الناس هل سمعتم ما سمعت"؟قالوا:نعم قال:"أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أدناهم"،ثم انصرف – صلي الله عليه وسلم- فدخل على ابنته زينب فقال:"أي بنية أكرمي مثواه و لا يخلص إليك فإنك لا تَحلين له".[٢]

---

[١]- يراجع على سبيل المثال:البخاري:" أبو عبد الله محمد بن إسماعيل" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- صلي الله عليه وسلم- وسننه وأيامه- (صحيح البخاري)،تحقيق د.مصطفى ديب البغا،دار ابن كثير،اليمامة،بيروت ط٣ ١٩٨٧م،ج١ص ٥٣،ج٣ص١١٥٧،مسلم:" أبو الحسين مسلم بن الحجاج "، صحيح مسلم،محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ج٢ ص١١٤٦ ،١١٤٧.

[٢]- الحاكم"محمد بن عبدالله "،المستدرك على الصحيحين،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٩٩٠م،ج٤ ص٣٦٩،الكلاعي:"أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي"،الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء،تحقيق:محمد كمال الدين عز الدين علي،عالم الكتب،بيروت، ط١ ١٤١٧هـ،ج٢ص٣٩

- وفي خطبة ألقاها الرسول بعد فتح مكة قال:"يعقد عليهم أدناهم"[١]، وهي إشارة غير مباشرة إلى بعض بنودها. وفي خطبة أخرى:"ولا يُقتل مسلم بكافر"،عن جابر عن عامر قال:قرأت في جفن سيف رسول الله – صلي الله عليه وسلم– ذي الفقار: العقل على المؤمنين، ولا يترك مفرح في الإسلام،ولا يقتل مسلم بكافر،

ويقول ابن سعد[٢]:إن النص كان محفوظًا في جراب سيف النبي، المعروف بذي الفقار،والذي سُلِّم بعد وفاته إلى عليّ.

- أن ابن إسحاق،الذي ترجع إليه سيرة ابن هشام، كان قد تلقى النص في زمنه من أحد أحفاد علي بن أبي طالب ويدعى "عبد الله"،وأنه كان يشير إلى نص مكتوب.[٣]

- أن معظم المستشرقين المهتمين بهذا الشأن شهدوا بصحتها.[٤]

هـ)- نقض اليهود للصحيفة.

على الرغم من الموقف المتسامح الذي بدر من الرسول– صلى الله عليه وسلم– تجاه اليهود ، إلا أنهم كانوا غيرمخلصين لما جاء في

---

[١] – :البخارى:صحيح،ج ٢ص٢٩٦.

[٢]– "محمد بن سعد بن منيع"،الطبقات الكبرى،تحقيق:حسان عباس، دار صادر–،بيروت ط١ ١٩٦٨ م.ج٦ ص ٤٨٦.

[٣]– ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢ص٩٢.

[٤]– منهم: سرجنت فى دراسة بعنوان" دستور المدينة"،المجلة الاسلامية ربع السنوية،مج ٨، ١٩٦٤م،ومونتجمري واط:محمد فى المدينة.عن هذا الموضوع يراجع:بركات أحمد: محمد واليهود،ص ٨٤،٩٧،محمود علي مراد:تحليل نقدي لصحيفة يثرب،ص١٧٤.

الصحيفة،ويبدو أنهم قبلوها ريثما يدبرون أمرهم كما هو معروف من دراسة مواقفهم من المسلمين بعد ذلك.

فقد راح اليهود عقب كتابة الصحيفة يكيدون للإسلام والمسلمين بالجدال العقيم تارة[١]،وبمحاولة الوقيعة بين الأوس والخزرج تارة أخرى[٢]،فما كان من النبي إلا أن تحمل أذاهم ،وسامحهم ،حتى إذا رآهم مجمعين على التنكيل به ومحو دينه، استدار عليهم ، وجازاهم بغدرهم.[٣]

غدر بني قينقاع(٢ هـ)

كانت مستوطناتهم في شمال المدينة في أخصب بقاع الأرض[٤] ،وكانوا أصحاب صياغة وتجارة،بدت البغضاء من أفواههم حين رأوا انتصار المسلمين الكبير على مشركي مكة؛وقالوا شعرًا يستفزون فيه عواطف المسلمين،وبلغت بهم الدناءة أن تحرشوا بامرأة مسلمة وهى في سوقهم وسخروا منها،فخالفوا كل العهود والمواثيق، فحق عليهم الطرد من المدينة،وكانوايستحقون عقابًا أكبرمن هذا.[٥]

---

[١] – مهدي رزق الله أحمد:السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ،الرياض ط(٢) ١٤٢٤ ،ج١ ٣٧٤، ٣٧٥.

[٢] – ابن هشام:السيرة النبوية ،ج٣ص٩٣.

[٣] – محمد الغزالي: فقه السيرة ،دار القلم ،دمشق ،ط(٣) ١٩٨٧م،ص ١٨٧.

[٤] – أحمد إبراهيم الشريف:مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول(صلى الله عليه وسلم)،دار الفكر العربي، مصر ١٩٨٥م،ص٢٤٦.

[٥] الواقدي: المغازي ج١ ص٣٦٧ – ٣٨١، ابن هشام: السيرة النبوية ح٣ص٥-٧.

غدر بني النضير (٤ هـ)

كان مما سجله المؤرخون عليهم،أنهم أطْلَعوا المشركين على عورات المسلمين في غزوة أحد؛وبعد معركة أحد التى خسر فيها المسلمون، فرحوا لذلك وبدأوا يفكرون عمليًا في القضاء على الإسلام والمسلمين،ومن خياناتهم:

- نقضهم لعهد المسلمين:

وذلك أن المعاهدة بينهم وبين المسلمين كانت تحتم عليهم ألا يؤوا عدوًا للمسلمين ، ولكن بني النضير لم يلتزموا بهذا الشرط،بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة ،وقد حدث ذلك في غير مناسبة،اتضح هذا حين قاد أبوسفيان- قبل أن يسلم- مئتى راكب إلى المدينة قاصدًا غزوها انتقامًا لهزيمة قريش في "بدر"،وهى الغزوة المعروفة"بالسويق" (٢ هـ)،فقام سيد بني النضير" سلام بن مشكم " بالوقوف معه وضيافته، ليس هذا فحسب،بل دله على عورات المسلمين،فعلم المسلمون بكل هذا.[١]

- ولما نزل المشركون "بأحد" سنة (٣هـ)، لقتال المسلمين،عمل بنو النضير كجواسيس لهم،وحضَّوهم على قتال المسلمين، ودلَّوهم على نقاط الضعف الخاصة بالمسلمين.[٢]

---

[١] – ابن إسحاق" محمد بن إسحاق بن يسار المدني":السير والمغازي، تحقيق/سهيل زكار،دار الفكر،بيروت،ط (١) ١٩٧٨م،ج٣ص٢٩١، الواقدي:المغازي، ج١ص١٦٩م.

[٢] – الواقدي:المغازي،ج١ص١٦٩م.

- محاولتهم اغتيال النبي(صلى الله عليه وسلم):

وقد حاولوا هذا غير مرة ، منها حينما ضغط مشركو مكة عليهم لاغتيال الرسول ، ومن ثم عرض يهود بني النضير الاشتراك في مناظرة دينية بين عددمن أحبارهم، عدد من المسلمين على رأسهم الرسول ، وكانت الخطة تقتضي أن يقوم ثلاثة منهم أثناء المناظرة بطعن الرسول بخناجر مسمومة،ولكن امرأة منهم أفشت سرهم لمسلم ،الذي أخبر النبي بغدرهم ،فرجع عنهم ولم يقابلهم.[١]

- وتكررت محاولة بني النضير اغتيال الرسول عندما خرج إليهم في نفر من أصحابه يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر قتلهما عمرو بن أمية- رضى الله عنه- بطريق الخطأ انتقامًا لأصحابه،وعلى الرغم من أن بني النضير استقبلوا الرسول بالبشاشة والترحاب، إلا أنهم وجدوها فرصة لاغتياله، وقرروا ذلك بأن يلقوا عليه صخرة من فوق المنزل الذي يجلس تحته،فأخبره جبريل بالمؤامرة فانطلق مسرعًا إلى المدينة. [٢]

ومع ذلك ،اكتفى النبى بطردهم من المدينة،وسُمح لهم بالخروج بكل أموالهم محملة على الإبل،ودماؤهم مصونة لم تسفك منها قطرة،وحملوا كل شيء يستطيعون حمله،وهدموا بيوتهم كيلا يستفيد منها المسلمون.[٣]

---

[١] – عبد الرازق" أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني " :المصنف، تحقيق/حبيب الرحمن الأعظمي،المكتب الإسلامي،بيروت،ط(١) ١٩٨٣م،ج٥ص٣٥٩.

[٢]– الواقدي: المغازي ج١ ص٣٤٤، ابن هشام: السيرة النبوية ح٤ ص١٣٧.

[٣] الواقدي:المغازي،ج١، ص٣٤٤،ابن هشام:السيرة النبوية ح٤ ص١٣٧، الطبري:تاريخ ، ج٢ص ٥٥١، ٥٥٢، محمد حمادة:مفهوم التسامح،ص٣٤٠.

غدر بني قريظة (٥ هـ)

لقد فاق يهود بني قريظة إخوانهم من بني قينقاع وبني النضير في الغدر والخيانة بالمسلمين ،والإخلال ببنود صحيفة المدينة.

ففي العام الخامس الهجري – (حيث موقعة الخندق وهى الأحزاب)– أحاطت جيوش الأحزاب بالمدينة في عشرة آلاف مقاتل من المشركين والأعراب وغيرهم في حشد عسكري قيل لم تشهده شبه الجزيرة من قبل،حينها تعرض المسلمون لظروف قاسية،وكان المتوقع أن ينضم بنو قريظة إلى صفوف المسلمين ضد القوات الزاحفة بناء على نصوص المعاهدة المبرمة بين الطرفين، لكن الذي حدث عكس هذا فقد فوجيء المسلمون ببني قريظة يخونونهم في أخطر أوقات محنتهم،ولم يراعوا للجوار حقًا،ولا للعهود حرمة،بل إنهم سعوا في الانضمام إلى صفوف الأحزاب للتعجيل بسحق المسلمين والقضاء عليهم قضاء تامًا،ولقد أحدث انضمام بني قريظة للأحزاب فزعًا شديدًا في صفوف المسلمين لأنهم ما كانوا يتوقعون أن يحدث مثل هذا في تلك الظروف[١]؛وقد صور لنا القرآن الكريم هذا الموقف حين قال: إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. [٢]

---

[١] – ابن هشام:السيرة النبوية،ج ٣ص١٤٤-١٥٢، الطبري:تاريخ ،ج٢ص ٥٨٦ – ٥٨٨، محمد حمادة:مفهوم التسامح،ص ٣٢٤.

[٢] – سورة الأحزاب: آية ١٠ ، ١١.

وبعد زوال الغمة،أقام لهم النبى محاكمة عادلة،واختاروا هم القاضي الذي يحكم عليهم،في سابقة هى الأولى من نوعها،وهى أن يختار المجرم المدان قاضيَه الذي يفصل في قضيته،فاختاروا سعد بن معاذ رضى الله عنه،حليفهم في الجاهلية،وقَبِل الرسول هذا،فحكم عليهم سعد أن يقتل كل من يستطيع حمل السلاح منهم،وهو حكم عادل نظير الخيانة العظمى التي ارتكبوها.

ثانيًا : من عهود النبي والخلفاء الراشدين للنصارى

أ) : من عهود النبي للنصارى

من عهود الأمان التي كتبها الرسول للنصارى،ما كتبه لنصارى نجران[1] ؛ وإذا كانت وثيقةالمدينة قد وُقِّعت بين الرسول ويهود المدينة ولم تشمل المسيحيين،فقد تم ذلك لسبب بسيط،أن يثرب وقتئذٍ لم يكن بها مسيحيون،لكن عندما زار وفد نصارى نجران- ومعهم كبارالرهبان- يثرب وتحاوروا مع الرسول ورفضوا اعتناق الإسلام،أرادوا في الوقت نفسه الانضمام إلى الأمة بالشروط الواردة بالصحيفة بالقدر الذي كان يمكن به تطبيق هذه الشروط على منطقتهم،وقالوا للرسول:ابعث معنا رجلاًمن أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا،وقد

---

[1] – نجران:من بلاد عسير، إلى الشرق منها، قرب الربع الخالي، وكان أهلها على النصرانية قبل الإسلام. ياقوت الحموى:"ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله"،معجم البلدان،دار الفكر ، بيروت،(دت)،ج٥ص٢٦٦.

أجابهم الرسول إلى طلبهم ، فعين أبا عبيدة بن الجراح قاضيًا لنصارى نجران.[١]

جاء في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم– لنصارى نجران:" بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ وَلِنَجْرَانَ وحاشيتهم جِوَارُ اللهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلّـتِهِمْ وَأَرْضِـهِمْ وَأَمْـوَالِهِمْ وَغَـائِبِهِمْ وَشَـاهِدِهِمْ وَعَشِـيرَتِهِمْ وَتَـبَعِهِمْ وَأَنْ لَا يُغَيّرُوا مِمّا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَا يُغَيّرُ حَقّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلّـتِهِمْ وَلَا يُغَيّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفِيّـتِهِ وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيّـتِهِ...وَلَا يُؤْخَذُ رَجُلٌ مِـنْهُمْ بِظُلْـمِ آخَرَ وَعَلَـى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ جِوَارُ اللهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِـيّ رَسُـولِ اللهِ حَتّـى يَـأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُنْقَلِبِينَ بِظُلْمٍ".[٢]

ومن عهود الأمان التى كتبها الرسول للمسيحيين ما كتبه لأهل أذرح[٣] جاء فيه:"من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح ،إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة؛والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة

---

[١] – كان ضمن هذا الوفد،عبد المسيح العاقب ،والأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، عن زيارة هذا الوفد للمدينة ومقابلة الرسول لهم يراجع:ابن هشام:السيرة النبوية،ج٤ ص١٦٤،ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج١ ص٢٦٦،بركات أحمد:محمد واليهود،ص٩٣.

[٢] – ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق:شعيب الأرناؤوط،عبد القادر الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان ،ط١٤ ،١٩٨٦م ، ج٦ص٤٢٠ .

[٣] – أذْرُح:مدينة بالبلقاء بين معان وبطرة،وفيها اجتمع الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري سنة ٣٨ هـ حين احتكم إليهما علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان إثر وقعة صفين سنة ٣٧ هـ .ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١ص١٣٠،١٢٩،وهي اليوم من مدن شرقي الأردن شمالي مدينة معان.

والتعزير إذا خشَّوا على المسلمين وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه".[١]

ب) : من عهود الخلفاء الراشدين للنصارى

- ومن عهود الأمان التى كتبت للمسيحيين في عهد الخلفاء الراشدين- (١١ - ٤١ هـ)-،تلك الوثيقة التى كتبها خالد بن الوليد - رضي الله عنه-لأهل الحيرة بالعراق في خلافة أبي بكر- رضى الله عنهما- سنة (١٢ هـ)،وكانوا من النصارى- وقدجاء فيها :" ... وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل،أو أصابته آفة من آفات أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعِيل من بيت مال المسلمين هو وعياله".[٢]

ب)- كما كتب خالد-رضى الله عنه- سنة(١٢ هـ) لأهل عانات [٣] "... ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلاة ، وأن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم ".[٤]

---

[١] - الواقدى:المغازي،ج١ص٤١٥،حميد الله: مجموعة الوثائق، ص٥٣ .

[٢] - أبو يوسف"يعقوب بن إبراهيم بن حبيب "، الخراج، دار المعرفة، لبنان ١٩٧٩م، ص٣٠٦.

[٣] - عانات:عدة مدن مضمومة تقع فى الأنبار،إحدى مدن العراق.ياقوت الحموي:معجم البلدان ،ج٣ص١٩٠.

[٤] - أبو يوسف:الخراج ،ص١٤٦.

ج)- العهدة العمرية (١٦ هـ)

ومن أشهر ما كتب في ذلك ،عهد الأمان الذي كتبه الفاروق عمر لأهل إلياء -(القدس)- والذي يُعدُّ وثيقة للتعايش السلمي بين جميع الأديان،وقد عُرفت بالعهدة العمرية؛ وقد أقرت حقوق أهل القدس على المسلمين،وكانت على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم:

١) أمانًا لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها.

٢) وألا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم.

٣) ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.

٤) ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

٥)- ومن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

٦)- ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه مع الروم، ويخلي بِيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، فمن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء، حتى يحصد حصادهم.وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة

الخلفاء وذمة أمير المؤمنين.(١)

وبمثل هذا التسامح كانت المسيحية قد قابلت المسلمين ، حيث فتحت الحبشة لهم أبوابها، وأحسن ملكها استقبالهم ، ورفض تسليمهم إلى أعدائهم من المشركين ، بعد أن حاولوا استمالته وخداعه ، لكنه بعدله وفطنته أبى إلا أن يسمع كلام المسلمين،ولما عرف الحقيقة قال قولته المشهورة التى حفظها له التاريخ:"إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقوا ، فو الله لا أسلمهم إليكم أبدا".(٢)

---

(١) – الطبري:تاريخ ،ج٢ص٤٤٩..

(٢) – ابن هشام:السيرة النبوية،ج١ص٢١٦،ابن كثير" إسماعيل بن عمر "،البداية والنهاية، مكتبة المعارف – بيروت ،(د ت) ج ٣ص٨٧ – ٨٩.

المبحث الثاني

(مظاهر تعامل الدولة الإسلامية مع أهل الكتاب)

١)- زيارة مرضاهم

٢)- أكل طعامهم

٣)- الزواج منهم

٤)- التعامل معهم اقتصاديًا

٥)- تبادل الهدايا بين الطرفين

٦)- الصلاة فى دور العبادة

٧)- عدم ظلمهم

٨)- الوصية بهم

٩)-القيام بكفالتهم

رصد المؤرخون الكثير من المواقف التاريخية التي تعبر عن سياسة الدولة الإسلامية تجاه أهل الكتاب ،ومن ذلك:

١)- زيارة مرضاهم

فقد جاء في الحديث عن أنس- رضى الله عنه- قال" كان غلام يهودي يخدم النبي فمرض فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم- يعوده فقعد عند رأسه فقال له" أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ، فأسلم فخرج النبي وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار". [١]

٢)- أكل طعامهم

وتعميقًا لقضية التعايش بين الأديان السماوية، أباح الإسلام طعام أهل الكتاب، وأحل للمسلمين الأكل من ذبائحهم،وفيه إشارة إلى مشروعية التزاور فيما بينهم، فإذا فتحت البيوت أبوابها،فسرعان ما تشرع الصدور بفتح قلوبها،فتشتد الأواصر،وتقوى الروابط بين أفراد المجتمع،قال تعالى:"وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ". [٢]

فما أحله الله تعالى للمخالفين هو حلال للجميع إلى يوم الدين،ودائرة الحلال المشتركة هذه،تعتبر من أهم عوامل اللقاء والعيش المتبادل بين الناس مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم.[٣]

---

[١] – البخاري:الصحيح ،ج١ص٤٥٥ (باب إذا أسلم الصبى)،أبو داود:السنن،ج٢ ص٢٠١ ، باب:(عيادة الذمي).

[٢] – سورة المائدة:آية ٥.

[٣] – محمد حمادة:مفهوم التسامح،ص١٣ .

٣)– الزواج منهم

ويأتي عامل الزواج من أهل الكتاب ليكسر الحواجز التي تحول دون انفتاح أصحاب هذه الأديان على بعضهم البعض،فقد تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم–من صفية بنت حيي ابن أخطب الإسرائيلية الهارونية النضرية ثم الخيبرية رضي الله عنها،وتزوج مارية بنت شمعون القبطية.[١]

٤)– التعامل معهم اقتصاديًا

وفي مجال المعاملات لم يكن المسلمون في العهد الأول يتعاملون فيما بينهم دون غيرهم من أهل الكتاب (بيعًا وشراءً ورهنًا وإيجارًا ...)،وكذلك العكس،فقد كان المسلمون يغشون أسواق اليهود يبيعون ويشترون دونما حرج،إلى أن وقعت مشكلة تلك المرأة المسلمة التي عمد أحد اليهود إلى كشف عورتها ،فأنشأ الرسول – صلى الله عليه وسلم– سوقًا للمسلمين ليستغنوا عن سوق اليهود.[٢]؛ وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول:توفي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير".[٣]؛وقد ثبت أن الرسول أرسل إلى يهودي ليشتري منه ثوبين إلى

---

[١]– البخاري:الصحيح،ج٤ص ١٥٤٣(باب غزوة خيبر)،مسلم:الصحيح،ج٢ص١٠٤٢ (باب فضيلة إعتاق أمة ثم يتزوجها)،ابن سيد الناس" محمد بن محمد"،عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ،دارالقلم،بيروت، ط١ ١٩٩٣ م،ج٢ص٣٦٦ ، ٣٩٠.

[٢] – ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢ص٢٢٠.

[٣] – البخاري:الصحيح،ج٣ص ١٠٦٨ (باب:ما قيل في درع النبي – صلى الله عليه وسلم– والقميص في الحرب)،ابن سيد الناس:عيون الأثر،ج٢ص٤٢٧.

الميسرة.[١]؛ وأنه:زارع اليهود،فقد أعطى خيبر لليهود على أن يعملوها ويزرعوها،ولهم شطرما يخرج منها.[٢]

فالرسول رهن درعه عند المخالف مع وجود المقرض والمواسي والمؤثر من المسلمين،بل إن الخير في أواخر حياته كثير،وذلك تعليمًا وإرشادًا لنا كي نتعامل معهم،وكونه صلوات الله وسلامه عليه مات ودرعه مرهونة عند يهودي تأكيد لذلك،إذ لابد من فك الرهن واسترجاع الدرع.[٣]

٥) – تبادل الهدايا بين الطرفين

ومن ذلك تبادل الهدايا بين الطرفين،فقد قَبِل النبى هدية زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم في خيبر،حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم،كما قبل هدية المقوقس المسيحي صاحب مصر، حيث أهدى الى الرسول ثلاث جوار، منهن أم ابراهيم بن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-. [٤]

وعن مجاهد قال كنت عند عبد الله بن عمرو –رضى الله عنه- وغلامه يسلخ شاة فقال:"ياغلام اذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودى فقال رجل من

---

[١]– الترمذي:"محمد بن عيسى " السنن، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين دار إحياء التراث العربي، بيروت (دت)،ج٣ص٥١٨.(باب:الرخصة في الشراء إلى الأجل).

[٢] – البخاري:الصحيح،ج٢ص٨٢١(باب المزارعة مع اليهود).

[٣] – محمد حمادة:مفهوم التسامح،ص ١٣.

[٤] – ابن عبدالحكم "أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله"،فتوح مصر وأخبارها،تحقيق:محمد الحجيري ط١، دار الفكر،بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ،ج١ص٥٥.الطبري:تاريخ،ج٣ص١٥،البيهقي:السنن،ج٩ص٢١٥(باب ما جاء في هدايا المشركين للإمام)،ابن كثير:البداية والنهاية،ج٤ص٦٤٩،

القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال:سمعت النبى يوصي بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه".[١]

٦) – دور العبادة

وصلى سلمان الفارسي ،وأبو الدرداء –رضى الله عنهما– في بيت نصرانية.[٢]؛ولما كان عمر بالشام توضأ للصلاة من جرة عجوز نصرانية.[٣]

وليس البيوت فحسب،بل إن دورالعبادة كانت تغشى من قبل الطرفين لأداء الصلاة وغير ذلك،دون نكير من أي طرف،وذلك لما قدم وفد نجران على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– دخلوا عليه بعد العصر،فحانت صلاتهم،فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم،فقال الرسول:"دعوهم"، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.[٤]

ولما روى عن عمر –رضى الله عنه–أنه لما قدم الجابية[٥] من أرض الشام استعار ثوبًا من نصراني فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه، وصنع

---

[١] – الترمذي:السنن،ج٤ص ٣٣٣ (باب: حق الجوار) .

[٢] – ابن قيم الجوزية،إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان،تحقيق:محمد حامد الفقي،دار المعرفة – بيروت، ط٢ سنة ١٩٧٥م،ج١ص١٥٣ .

[٣] –البيهقي:السنن،ج١ص ٣٢ (باب:التطهرفي أوانى المشركين إذا لم يعلم نجاسة).

[٤] – ابن هشام:السيرة النبوية ،ج ١ص٥٧٤،ابن كثير"إسماعيل بن عمر بن كثير"، تفسير القرآن العظيم،تحقيق:سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢،١٤٢٠هـ ،ج١ ص ٥٥١.

[٥] – الجابية مدينة في بلاد الشام تقع جنوبي دمشق (على بعد ٨٠ كلم تقريبا)، برز دورها في فترة ما قبل الإسلام، لاسيما أثناء حكم الغساسنة، فقد كانت عاصمة لبعض ملوكهم، ويرجع ذلك إلى موقعها المتوسط بين الأراضي التي يحكمونها، بالإضافة إلى حصانتها الطبيعة . افتتحها المسلمون سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ح٢ص٩١،

له أهل الكتاب طعامًا فدعوه فقال أين هو قالوا:في الكنيسة فكره دخولها وقال لعلي–رضى الله عنه– :اذهب بالناس فذهب علىٌ بالمسلمين فدخلوا فأكلوا،وجعل على ينظر إلى الصور ويقول:ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل. [1]

قلت:وسبب امتناع عمر من دخول الكنيسة،هو كسبب امتناعه عن الصلاة فى كنيسة بيت المقدس يوم فتح القدس سنة (١٦ هـ) ، مخافة اعتياد المسلمين على الصلاة فيها،ثم غلبتهم عليها بحجة ذلك،والله أعلم.

٧) – عدم ظلمهم

ومن حسن التعايش مع أهل الكتاب حماية إنسانيتهم،وحفظ كراماتهم،فضلاً عن ظلمهم،وسلب حقوقهم،وأشهر الأمثلة على ذلك قصة القبطي مع ابن عمرو بن العاص والي مصر حين ظلمه، فلما اشتكى القبطي عمرًا وابنه لعمر وهو بالمدينة،استدعاهما على عجل،وأعاد الحق لابن القبطي،ثم قال:متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا،ثم التفت إلى المصري وقال:انصرف راشدًا فإن رابك ريب فاكتب إلىّ. [2]

ولهذه الأخلاق والمبادئ الإسلامية ، كان أهل الكتاب يسارعون للدخول فى الإسلام؛ ويؤكد هذا قصة الدرع بين على بن أبي طالب والرجل المسيحي،حيث تقول الرواية:وجد على بن أبى طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل إلى شريح يخاصمه،قال:فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال:الدرع درعي ولم أبع ولم أهب،فقال شريح للنصراني:ما تقول فيما

---

[1] – ابن قيم الجوزية،إغاثة اللهفان،ج١ص١٥٧ .

[2] – ابن عبد الحكم: فتوح مصر،ج١ص١٨٣.

يقول أمير المؤمنين؟فقال النصراني ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى على فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة فضحك علىٌ وقال: أصاب شريح مالي بينة، فقضى بها شريح للنصراني؛ قال: فأخذه النصراني ومشى خُطًا ثم رجع فقال: أمَّا أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ،أمير المؤمنين يدفعني إلى قاضيه يقضي عليه،أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى "صفين" فوقع من فرسك؛ فقال أما إذ أسلمت فهى لك وحمله على فرس.[١]

٨) – الوصية بهم

أطلق الرسول – صلى الله عليه وسلم– عدة وصايا خاصة بأهل الكتاب ،فعن صفوان بن سليم ، أنه روى عن ثلاثين من أصحاب النبي– صلى الله عليه وسلم–، أن الرسول قال محذرًا:"ألا من ظلم معاهدًا وانتقصه وكلفه فوق طاقته أوأخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة".[٢]،وعن عبدالله بن عمرو –رضى الله عنه– أن الرسول قال: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا".[٣]

بل كان يوصي الحكام والمجاهدين برعاية ذمتهم مخافة أن يحيف بعض المسلمين عليهم بحجة أنهم على غير دينهم،فقد روت أم المؤمنين (أم

---

[١] – ابن كثير :البداية والنهاية،ج٨ص٤، ٥.

[٢] – رواه البيهقي:السنن،ج٩ص٢٠٥ (باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات) .

[٣] – البخاري:الصحيح،ج٣ص١١٥٥،(باب:إثم من قتل معاهدًا بغير جرم)،أبوداود:السنن،ج٢ص٨٢،(باب:الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته)

سلمة) رضي الله عنها أن رسول الله أوصى عند وفاته فقال:" الله الله في قبط مصر،فإنكم ستظهرون عليهم،ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله"[١]؛وعن (أبي ذر) رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال:"إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا "[٢]

والذمة إشارة إلى مارية القبطية زوجة النبي- صلى الله عليه وسلم- ،وأما الرحم فكون أم إسماعيل عليه وسلم منهم .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي الجيوش الإسلامية بقوله :"وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم".[٣]

وأوصى عمر رضي الله عنه الخليفة من بعده بأهل الذمة فقال: وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله – صلى الله عليه وسلم- أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم".[٤]

---

[١] – الهيثمي"نور الدين علي بن أبي بكر"،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ، / ١٩٩٢ م،ج١٠ص١،(باب: ما جاء في مصر وأهلها) وقال:رجاله رجال الصحيح،الصالحي:سبل الهدى والرشاد،ج١٠ ص٧٧.

[٢] –البيهقي:السنن،ج٩ص ٢٠٦(باب:الوصاة بأهل الذمة) ،ابن كثير :البدايةوالنهاية،ج٦ص١٩٣.

[٣]–الواقدي:فتوح الشام، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط(١)،١٩٩٧م،ج١ص٨.

[٤] – البخاري:الصحيح،ج١ص٤٦٩ (باب:ما جاء في قبر النبي- صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما).

٩ –القيام بكفالتهم

ومن ذلك:أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–مرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل:شيخ كبير ضرير البصر،فضرب عضده من خلفه وقال:من أي أهل الكتاب أنت؟ قال:يهودي، قال:فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن،قال:فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فأمرله بشئ من المنزل ثم أرسله إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم "إنما الصدقات للفقراء والمساكين "والفقراء هم المسلمون،وهذا المسكين من أهل الكتاب"،ووضع عنه الجزيه وعن ضربائه.[١]

ولما سافر إلى دمشق مرَّ بقوم مجذومين من النصارى،فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت.[٢]

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة وهى صحيحة.

---

[١] – أبو يوسف:الخراج،ص١٢٦.

[٢] – توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام،ترجمة :حسن إبراهيم حسن وآخرين،القاهرة،ط٢ ١٩٥٨م، ص ٥٣.

قراءة جديدة لمصطلح " الجزية في التاريخ الإسلامي ".

بقى أمر مهم يثيره بعض من يشكك في حسن سياسة الدولة الإسلامية مع أهل الكتاب وأنهم مواطنون من الدرجة الثانية،ألا وهو"الجزية" التى تؤخذ من أهل الذمة في ديار الإسلام،وقد ورد ذكرها في القرآن في قوله تعالى:"قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون"(١)

أى : قاتلوا من كانت هذه صفاتهم من اليهود والنصارى الذين أعطاهم الله التوراة والإنجيل – عن طريق موسى وعيسى – عليهما السلام – ولكنهم لم يعملوا بتعاليمهما وإنما عملوا بما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم ،حتى يعطو الجزية عن طوع وانقياد ، فإن فعلوا ذلك فاتركوا قتالهم. (٢)

فالآية–كما نرى–لا تثبت الجزية فحسب،بل وتفرض معها الذلة والصغار،ولكن لمن؟ إن الذى يتأمل الآية الكريمة يجد أنها تتكلم عن:

١– فئة من أهل الكتاب لا عن كل أهل الكتاب .

٢– من صفات هذه الفئة أنها لاتؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

٣– وأنهم لا يعرفون حلالاً ولا حرامًا،ونسبتهم إلى أهل الكتاب كنسبة كثير من المسلمين الذين ليس لهم من سهم في الإسلام سوى اسمه.

---

(١)– سورة :التوبة،آية ٢٩.

(٢)– عن هذا المعنى يراجع،الطبري: تفسير،ج١١ص٤٠٦ – ٤٠٨.

٤- وهم في الواقع يحاربون الإسلام والمسلمين. [١]

٥- أن الصغار الوارد في الآية لا يقصد به الذل والإهانة،وإنما المقصود به أنهم حين يدفعون الجزية فهذا دليل على قبولهم العيش تحت حكم دولة الإسلام ، مع حفظ حقهم في الاعتقاد والعمل بشريعتهم فيما بينهم .[٢]

واذا كان المؤرخون يتحدثون عن الخيارات التى طرحها المسلمون الفاتحون على أهل الامصار ويحصرونها في(الاسلام أو القتال او دفع الجزية)،فإن هناك خيارًا آخر لم ينتبه إليه كثير من المؤرخين،ألا وهو: "تحالف هذا الآخر مع المسلمين" فى

قتال الأعداء ،وهذا الخيار كان يعني عدم دفع الجزية،وهذا يؤكد أن الجزية هى بديل للجندية.[٣]

هذا ما حدث مع القائد"عتبة بن فرقد السلمي" [٤] فاتح أذربيجان سنة (٢٢ هـ) الذى عقد عهدًا مع أهلها على أن يؤدوا الجزية على قدر

---

(١)- محمد حمادة: مفهوم التسامح، ص ١٣.

[٢] – الشافعي" محمد بن إدريس" كتاب الأم ،نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ،ج٤ ص١٨٦.

[٣] – أحمد الجهني ومحمد مصطفى:الإسلام والآخر، ص ٥١.

[٤] – عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة،له صحبة ورواية، وكان شريفا، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوتين،وكان أميرًا لعمر بن الخطاب على بعض فتوح العراق،وقد روى له النسائي، وتوفي سنة ٥٠ هـ تقريبًا. ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج١ص٢٨٥، الصفدي: "صلاح الدين خليل بن أيبك" ،الوافي بالوفيات ، دار فرانز شتاينر ، ألمانيا ، سنة ١٩٩٢م،ج١ص٢٨.

طاقتهم،ومن شارك منهم في القتال مع المسلمين رفعت عنه الجزية في السنة التي يشارك فيها؛وتذكر المصادر أن "سراقة بن عمرو المدلجي ت: ٢٤هـ" عامل الخليفة عمر بن الخطاب استجاب لطلب حاكم مدينة أرمينيا أن يعفية وعشيرته من الجزية مقابل أن يقوموا بما يطلب منهم ضد أعداء المسلمين؛وجاء في رسالة حاكم أرمينيا إلى سراقة: " ... وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصغوي- (ميلى)- معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون".وقد وافق سراقه على هذا الطلب بعد استشارة عمر بن الخطاب الذي لم يجد حرجًا في رفع الجزية عن كل من قاتل في صفوف الجيش الاسلامي من أهل أرمينيا، أو صد هجوم الأعداء. [١]

ومما يؤكد أن الجزية بديل لأداء الخدمة العسكريةوالدفاع عن الدولة أن الصحابى المشهور القائد أبا عبيدة بن الجراح ردَّ إلى أهل "حِمْص" بالشام الجزية التى أخذها منهم،عندما اضطر للانسحاب من المدينة بعد حشد الروم لجيوشهم ضد المسلمين وقال:" إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا .. ".[٢]، وأيضا صالح أبو عبيدة طوائف من يهود بلاد الشام على إسقاط الجزية عنهم مقابل أن يكونوا عيوْنًا وأدلاء للمسلمين. [٣]

---

[١] – الطبري:تاريخ،ج٢ص٥٤٠.

[٢] – المصدر السابق،ج٢ص٣١٩ .

[٣] – أحمد الجهني ومحمد مصطفى:الإسلام والآخر ، ص ٥٢ .

وعهد خالد لأهل الذمة في العراق سنة(١٢هـ) "... إني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد... فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا حتى نمنعكم " (١)

هل الجزية اختراع إسلامى ؟

والجزية ليست اختراعًا إسلاميًا، فهى شبيهة بالضرائب التي كانت تفرضها الأمم السابقة على الشعوب المغلوبة ، ومن ذلك ما ذهب إليه البعض من أن الفرس هم أول من رتب أصولها ،وقد وضعها يونان أثينا على سكان آسيا الصغرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد مقابل حمايتهم من هجمات الفينيقيين،وفينيقية يومئذ من أعمال الفرس،فهان على سكان تلك السواحل دفع المال في مقابل حماية الرءوس؛والرومان وضعوا الجزية على الأمم التى أخضعوها،وكانت أكثر كثيرًا مما وضعه المسلمون بعدئذ،فإن الرومان لما فتحوا غاليا (فرنسا الآن)،وضعوا على كل واحد من أهلها جزية نحو سبعة أضعاف جزية المسلمين.(٢)

إن الذين تنطبق عليهم شروط الجزية،ليسوا سوى الذين تنطبق عليهم شروط الجندية،وهم الذين يطالبون بالقتال اذا ما دقت طبول الحرب،فإذا لم يشاركوا في القتال،وذهب غيرهم ليصدوا العدوان ويموتوا في ساحة القتال فليس ظلمًا على الإطلاق أن يدفع القاعدون مقابلاً لهذه الميزة ،يظل رمزيًا في جميع الحالات،وهذا النظام كان معمولاً به في مصر حتى منتصف

(١) – الطبري:تاريخ ،ج٢ص٣١٩.

(٢) – فهمي هويدي:مواطنون لا ذميون،دار الشروق،مصر،ط(٣) ٢٠٠٥م،ص١٣٠ ،١٣١، أحمد الجهني ومحمد مصطفى:الإسلام والآخر، ص ٥٣.

القرن العشرين، إذ كان على كل من لا يرغب في أداء واجب الخدمة العسكرية من المسلمين وغيرهم أن يدفع بدل الجهادية.[١]

وعلى الرغم من هذا تجد أحيانًا من يدعو إلى حرمان غير المسلمين من ممارسة حقوق سياسة في الدولة الإسلامية،هذة الأراء يلاحظ عليها عدة أمور:

<u>الأول</u>:أنها تتعامل مع أهل الذمة باعتبارهم كيانًا منفصلاً عن مجتمع المسلمين،وتكاد تضعهم فى مربع واحد مع الأجانب المستأمنين .

<u>الثانى</u>:أن بعض من يطرحون هذة الآراء يخاطبون عالمًا غير عالمنا،فهم يتحدثون عن حقبة غير موجودة على الخريطة الآن.

<u>الثالث</u>:أن الذين قالوا إن غير المسلم يعد مواطنًا من الدرجة الثانية في المجتمع الإسلامى لم يورد أحدهم نصًا شرعيًا صحيحًا يستند اليه فى دعواه.[٢]

---

[١] – فهمي هويدي: مواطنون لا ذميون، ص ١٣٧ ، ١٣٨،أحمد الجهني ومحمد مصطفى:الإسلام والآخر،ص ٥٣ ، ٥٤.

[٢] – فهمي هويدي:مواطنون لا ذميون، ص ١١٤،أحمد الجهني ومحمد مصطفى:الإسلام والآخر، ص ٥٩، ٦٠.

القواسم المشتركة بين الأديان

وبعدكل ما تقدم قد تسأل عن غياب مفهوم التسامح والتعايش ونبذ الكراهية بين هذه الأديان السماوية، خاصة عندما تقرأ في فصول الحروب الدموية التي وقعت بينها،كالحروب الصليبية في القرون الوسطى،والصراع اليهودي–الإسلامي في العصر الحاضر.

وفي تقديري أن الأديان السماوية بنصوصها وتعاليمها السامية بريئة من ذلك كله،وأن للدوافع السياسيةوالأطماع الاقتصادية الدور الرئيس في استغلال التنوع الديني،وتأجيج نار الاختلافات فيما بينها، لتنطلق من هذه الاختلافات متخطية حلقة التسامح والتعايش الذي نادت به تعاليمها السمحاء،ولتقع بعد ذلك في أتون الصراعات الدامية التي شوهت سمعتها،وجعلت الكثيرين من أتباعها فيما بعد ينصرفون عنها إما بعزلها عن الحياة،وإما بالتنكر لها وتركها بالكلية.[1]

وإذا كان البعض يتعامل مع المختلف معه بعقلية الصراع، ومن ثم يتصادم معه صدام القتل والحرب والدمار،فإن الإسلام له منهج واضح يأخذ هذا الإنسان من دائرة الاختلاف في العقيدة واللغة والتفكير والرؤى،إلى دائرة الحوار الهادف الدافع للوصول إلى الحق والحقيقة أينما وجدت،على أساس أن المتفق عليه أكبر بكثيرمن المختلف فيه،والجوانب الإنسانيةهى الوقود والأرضيةالمشتركةالتي ينطلق منها المختلفون نحو الحق المطلق،والحقيقةالواضحة.

---

[1] – محمد حمادة : مفهوم التسامح ، ص١٧٤.

إن وحدة أصول الأديان الثلاثة- (اليهودية والمسيحيةوالإسلام)- من أصول الإيمان والتشريع،يجعلها قريبة من بعضها إلى الحد الذي يسمح بفتح آفاق التحاور والدعوة فيما بينها أكثر من غيرها،وذلك نظرًا لعناصر اللقاء الواحدة والمشتركة بين هذه الأديان من:الاعتقاد بالألوهية والنبوة والمعاد،والاتفاق على الكثير من المحرمات في مسائل التشريع.

الفصل الثاني:

سياسة الدولة الإسلامية تجاه المشركين

تمهيد: بعض ما جاء في القرآن الكريم عن التعايش معهم.

المبحث الأول: (معاهدات الرسول- صلى الله عليه وسلم- مع المشركين)

المبحث الثاني- (صلح الحديبية نموذج للتعايش مع المشركين).

تمهيد: بعض ما جاء في القرآن الكريم عن التعايش معهم.

الشرك:اعتقاد تعدد الآلهة[١]؛والمشركون في القرآن الكريم في بداية العصر النبوي هم عباد الأصنام؛ولا يخفى أن عقيلة الشرك هي أضعف العقليات،وأكثرها سذاجة،لأن أصحابها غرقوا في التقليد الأعمى،حتى أطبق على عقولهم ، فنحتوا بأيديهم من الحجارة أصنامًا وعبدوها مع الله.

ومن يريد التعايش مع هؤلاء المشركين،لابد وأن يراعي هذا المستوى الضعيف من التفكير؛فيخاطبهم المسلم بما يناسبهم، ويحاكيهم بما يعرفون،ويأتيهم من اليمين تارة ومن اليسار تارة أخرى،ويصبر على جهلهم وتكبرهم وعنادهم ما استطاع،حتى يؤثِّر فيهم،فاذا أخذ بزمام عقولهم، قادهم بالموعظة الحسنة مُظْهِرًا شفقته عليهم،وأنه لا يريد لهم إلا الخير والإصلاح.

ويشير القرآن الكريم إلى ضعف عقولهم،وانعدام معرفتهم عند التعامل معهم ،نرى ذلك في قوله تعالى:"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ " [٢].

تتحدث هذه هذه الآية الكريمة بحسب سياقها عن حالة يستمر فيها القتال بين المسلمين والمشركين،فيُمَكِّن الله تعالى للمسلمين،ويهيئ لهم أسباب النصر،وفي أثناء ذلك قد يتسلل أحد المشركين هاربًا من القتل المحقق إلى بيوت المسلمين ومساكنهم، ويطرق أحد الأبواب طالبًا الجوار والحماية،فماالموقف الشرعي تجاه هذا المشرك الذي كان قبل قليل شاهرًا

---

[١]- معجم لغة الفقهاء،ج١ص٩٦.

[٢]- سورة التوبة،آية،٦.

سيفه يقاتل المسلمين؟ولولا خشية الهزيمة أو القتل أو الأسر لاستمر في قتالهم؟الآية الكريمة تدعوك إلى قبول جواره واعتباره ضيفًا لا عدوًا(فأجرْه)،أي فاقبل جواره وأكرم نزله،ويجيبنا الحق سبحانه عن سبب كل هذا التساهل والتسامح بقوله:(ذلك بأنهم قوم لا يعلمون).[1]

ومن المقررأنه ليس الهدف من تشريع الجهاد سفك الدماء،أو جلب الغنائم،وإنما المهم الوصول إلى الإيمان بالله وتوحيده،وترك الكفر والجحود،وإقرار السِّلم والأمن،ونشر ألوية الحرية،وتهيئة مناخ المعرفة والعلم، وإطلاق حرية الفكر والرأي،وهذا الاتجاه السلمي وإيثار الأمن والسلام وإعلان مبدأ التسامح والمحبة وترك التعصب والانغلاق؛ بسبب أن هؤلاء المشركين قوم جهلة لايعلمون حقيقة الإسلام وما يدعو إليه،ومن جهل شيئًا عاداه،فلابد من إعطائهم الأمان حتي يسمعوا كلام الله ، ويفهموا الحق الذي أنزله. [2]

---

[1]- الطبري:تفسير،ج١ص٨٣٣.

[2] – وهبة مصطفى الزحيلي:التفسير الوسيط،دار الفكر،دمشق ط(١) ١٤٢٢ هـ ،ج١ص٨٣٣.

المبحث الأول:

(معاهدات الرسول- صلى الله عليه وسلم- مع المشركين)

أولا:معاهدات الرسول مع القبائل العربية حول المدينة:

بعد مرور ثلاثة عشر عامًا من ظهور الإسلام،طرد مشركو مكة الصحابة من ديارهم بعد سنوات الإيذاء والصبر ثم لحق بهم الرسول في يثرب؛وبمجرد وصوله قام بالبحث عن أفضل طريقة ليتعايش بها مع المخالفين له وللمسلمين،فكانت صحيفة المدينة للتعايش السلمي والتي ضمت كل طوائف السكان،ثم لحق بهم المسيحيون فانضموا لها كما تحدثنا من قبل.

أما الأعراب الذين كانوا يسكنون حول المدينة،فقد ذهب إليهم الرسول-صلى الله عليه وسلم-لإيجاد وسيلة للتعايش السلمي بينهم فعقد معهم بعض المعاهدات لأجل ذلك منها:

- معاهدة قبيلة جهينة سنة ١ هـ:

كانت قبيلة جهينة تقيم في المنطقة الجبلية التي تقع غربي المدينة المنورة على ساحل البحر الاحمر[١]،فلما قدم الرسول المدينة،جاءته جهينة،فقالوا:"إنك قد نزلت بين أظهرنا؛فأوثق لهم النبي ولم يسلموا

[١]- سامي عبدالله المغوث:الأطلس التاريخي لسيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم)،مكتبة العبيكان،الرياض،ط(٤) ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م،ص١٥٠.

[١]؛ولذلك أدرج الحافظ ابن حجر[٢] هذه الرواية تحت باب" المعاهدة مع أهل الشرك".

- معاهدة بني ضمرة سنة ٢ هـ :

عقدالنبي- صلى الله عليه وسلم- هذه المعاهدة مع بني ضمرة من كنانة،في شهرصفرمن السنة الثانية من الهجرة،ووقَّع عليها زعيمهم: مخشي بن عمروالضمري،وذكر ابن سعد[٣] نص المعاهدة،وهو: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة،بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على مَنْ دَهَمَهُم بظلم وعليهم نصر النبي،ما بلَّ بحرٌ صوفَه إلا أن يحاربوا في دين الله ، وأن النبى إذا دعاهم لنصره أجابوه،عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من برَّ منهم واتقى".

ومنطوق هذا الكتاب أنه يقرُّ أمورًا دستورية بين الطرفين وهى:الأمن على الأموال، والأنفس،والنصر في مواجهة العدو،ونصر هؤلاء الحلفاء في حالة

---

[١]- الطحاوي" أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري":شرح مشكل الآثار،تحقيق/شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط(١) ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧م،ج١٢ص٣٨١.

[٢]-"شهاب الدين أحمد بن على" ت ٨٥٢هـ.:المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية،تحقيق/مجموعة من المحققين،دار العاصمة،السعودية،١٤١٩ هـ،ج٩ص٤٤٠.

[٣]- الطبقات الكبرى،ج١ص٢٣٨.

الاعتداء عليهم وهو ما يسمى اليوم بمعاهدة الدفاع المشترك،أو الحلف الدفاعي.[١]

- معاهدة بني مُدْلَج سنة ٢ هـ:

وفيها وادع النبى- صلى الله عليه وسلم- بنى مدلج :"على أن ينصربعضهم بعضًا،وأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم".[٢]

كما عاهد الرسول قبائل:خزاعة،وغفار،وأسلم؛وتضمنت هذه المعاهدات نصوصًا بعدم الاعتداء من أي طرف على آخر،والأمن على الأنفس والأموال.[٣]

ويتضح من هذه المعاهدات أن الهدف منها هو: كسب مودة القبائل المجاورة للمدينة ليظهر للجميع أنه لم يقدم للحرب،بل للتعايش معهم،وأن الحرب بينه وبين قريش طالما كانت معتدية،لا بينه وبين القبائل المجاورة،فيشيع لذلك في المناطق المجاورة للمدينة السكينةُ والطمأنينةُ،ويعلم الجميع الوجه الحقيقي للإسلام بعيدًا عن أراجيف قريش وأكاذيبها.

ويتبين لنا أيضًا:أن شروط المعاهدات فيها ضمان للمسلمين بعدم هجوم هذه القبائل عليهم،وعدم إعانة مشركي مكة أو أي عدو متوقع .[٤]

---

[١]- توفيق السديري: الإسلام والدستور ،وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١ ١٤٢٥هـ ،ص١٣٩.

[٢]- ابن هشام:السيرةالنبوية،ج٢ص١٩٣.

[٣] – توفيق السديري : الإسلام والدستور، ص ١٣٩.

[٤] – حامدأحمدالطاهر:غزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم- ،دارالفجرللتراث،مصر ط١ ٢٠٠٧م،ص٤٥،٤٦.

فالتعايش السلمي يقتضي ألا يعتدي طرف على الآخر أو يعين عدوًا عليه، والكل يعيش في أمن وسلام وتعاون.

ثانيًا:معاهدة الرسول- صلى الله عليه وسلم- مع قريش

أما مشر كومكة، فلم يكد يستقر المسلمون في المدينة حتى بعثوا إليهم يقولون" لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب،وسنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم"[١]،وبالفعل لم يهدأ مشركو مكة في حرب المسلمين لمدة ست سنوات متتالية،لم تتوقف إلا بتوقيع صلح الحديبية في العام السادس الهجري؛ وخلال هذه السنوات الست كان الرسول يبحث عن طريقة يجذبهم بها للجلوس معه على طاولة المفاوضات لعقد معاهدة يتعايش بسببها الطرفان ويسود الجميع السلام والأمن السياسي والاجتماعي والاقتصادي؛وكان دائمًا يصرّح ويقول عن مشركي مكة "والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إيّاها"[٢]،وفي مرَّة ثانية يقول:"والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها " [٣]،في إشارة قوية منه إلى رغبته – صلى الله عليه وسلم- في البحث عن التعايش السلمي معهم.

ومما يدل- أيضًا- على إصرار الرسول على التعايش مع المشركين،أنه أثناء مفاوضات صلح الحديبية كان يقول للقادمين للتفاوض من جهة

---

[١] –ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ،ج٣ص٢٥٧ ، الصالحي:سبل الهدى والرشاد،ج١ص٨٧.

[٢] – البخاري: الصحيح،(باب:الشروط في الجهاد،والمصالحة مع أهل الحرب)،ج٢ص٩٧٤.

[٣] – ابن حنبل:المسند،ج٣١ص٢١٢.

قريش"إنا لم نجيء لقتال أحد،ولكنا جئنا معتمرين،وإن قريشًا قد أنهكتهم الحرب،وأضرَّتْ بهم ، فإن شاؤا ماددتهم- أي كتبت معهم عهد تعايش- مدة ، ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا،وإلا فقد جَمُّوا" [1] أي ، استراحوا من القتال؛وأخيرًا تحقق هدف الرسول وهو العيش في سلام مع المشركين عن طريق معاهدة بين الطرفين،وهى"صلح الحديبية".

صلح الحديبية أنموذج للتعايش مع المشركين

مباحثات وضع البنود

لما بلغ قريشًا أمر بيعة الرضوان،وأدرك زعماؤها تصميم الرسول- صلى الله عليه وسلم- على القتال أوفدوا "سهيل بن عمرو" في نفر من رجالهم لمفاوضته، ولما رأى الرسول سهيلاً قال:«لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل».[2]

شرع الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح،واستعرضا النقاط التي يجب أن تتضمنها معاهدة الصلح،ومختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما؛إلا أنه عندما شرع النبي في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها،أمر الكاتب- وهو علي بن أبي طالب رضى الله عنه - بأن يبدأ المعاهدة بكلمة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهنا اعترض رئيس الوفد

---

[1] – نفس المصدر السابق.

[2] – ابن هشام:السيرة النبوية،ج٣ص٢٠٥، ٢٠٦،الكلاعي:الاكتفاء،ج٢ص١٤٩،الصالحي:سبل الهدى والرشاد،ج٥ص٥٢.

القرشي سهيل بن عمرو قائلاً:لا أعرف الرحمن، اكتب (باسمك اللهم)[١]، فضج الصحابة على هذا الاعتراض، قائلين:هو الرحمن،ولا نكتب إلا الرحمن،ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم- تمشيًا مع سياسة الحكمة والمرونة والحِلْم، قال للكاتب: «اكتب باسمك اللهم».

واستمر في إملاء صيغة المعاهدة هذه، فأمر الكاتب أن يكتب "هذا ما اصطلح عليه رسول الله"،وقبل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشي على كلمة رسول الله قائلاً: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك ؟ اكتب محمد بن عبد الله. [٢]

واعترض المسلمون على ذلك، ولكن رسول الله بحكمته وتسامحه وبُعد نظره حسم الخلاف وأمر الكاتب بأن يمحو كلمة رسول الله من الوثيقة،ولما رفض على،فمحاها النبي- صلى الله عليه وسلم- بيده [٣] فالتزم الصحابة الصمت والهدوء.

بنود المعاهدة

وبدأ النبي – صلى الله عليه وسلم- وسهيل في كتابة الشروط على النحو التالي:

---

[١] – مسلم:الصحيح ،(باب صلح الحديبية في الحديبية)،ج٣ص١٤١١.

(٢) – البخاري:الصحيح ،(باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب)،ج٢ص٩٧٧،و عن هذه المباحثات يراجع،الواقدي:المغازي، ج١ص٦٠٨ .

[٣] – مسلم:الصحيح ،(باب صلح الحديبية في الحديبية)،ج٣ص١٤٠٩.

١)– اصطلح الطرفان على وضع الحرب على الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكفُّ بعضهم عن بعض. [١]

2)- وعلى أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه . [٢]

3)- وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا إغلال (أى سرقة وخيانة عامة). [٣]

4)- وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله،ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم). [٤]

5 - وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة،وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب، السيوف في القرب،ولا تدخلها بغيره . [٥]

8 - شهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين [٦]

---

[١] – ابن حنبل:المسند،ج٣١ص٢١٨ .

[٢] – مسلم:الصحيح ،(باب صلح الحديبية في الحديبية)،ج٣ص1411.

[٣] – ابن هشام:السيرة النبوية،ج٤ص٢٨٥، ٢٨٦ ، ابن حنبل:المسند،ج٣١ص٢١٨.

[٤]– نفس التوثيق السابق.

[٥] – ابن حنبل:المسند،ج٣١ص٢١٩،٢١٨.

(٦) – من المسلمين:أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة،وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين؛ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو. عن الشهود وبنود المعاهدة يراجع: الواقدي:المغازي ،ج٢ص٦١٢،٦١١ ،ابن هشام:السيرة النبوية،ج٣ص٢٠٨، الطبري:تاريخ ،ج٢ص٦٣٤-٦٣٦، ابن سيد الناس:عيون الأثر:ج٢ص١٢١،ابن كثير:البدايةوالنهاية،ج٤ص٦٠٠.

وبهذا يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – وافق المشركين على :

١)– ترك كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) ووافق على كتابة (باسمك اللهم) بدلاً عنها.

٢) – وكذا وافقهم في كتابة محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

٣) – وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلى المسلمين دون من ذهب منهم إليهم، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور.

أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما قريب ، وكذا قوله (محمد بن عبد الله) هو أيضًا رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصف النبي– صلى الله عليه وسلم– بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لايحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك. [١]

وأما شرط رد من جاء منهم وعدم رد من ذهب إليهم، فقد بيَّن النبي تعليل ذلك والحكمة فيه في هذا الحديث بقوله: «من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا ". [٢]

---

(١) – الصالحي: سبل الهدى والرشاد،ج١ص٧٨.

[٢] – مسلم:الصحيح ،(باب صلح الحديبية في الحديبية)،ج٣ص١٤١١، ويراجع أيضًا: ابن قيم الجوزية:زاد المعاد،ج٣ص ٢٦٥، الصالحى:سبل الهدى والسلام،ج٥ص٧٨، الشيخ محمد أبوزهرة:خاتم النبيين،دار الفكر،القاهرة ،١٤٢٥ هـ ،ج٢ص٧٦١.

وتعد هذه المعاهدة أساسًا للمعاهدات الإسلامية ونموذجًا فريدًا للمعاهدات الدولية، بما سبقها من مفاوضات، وما حوته من شروط، وما تمثل بها من خلق النبي – صلى الله عليه وسلم – في النزول عند رضا الطرف الآخر،وفي كيفية الصياغة والالتزام، وقد سبقها مفاوضات من قبل المشركين والمسلمين، وفشل بعض الممثلين في الوصول إلى اتفاق، ودارت مشاورات شتى من الجانبين قبل الوصول إليه، حتى توصل الفريقان إلى اتفاق عن طريق ممثل المشركين (سهيل بن عمرو) ورسول الله– صلى الله عليه وسلم–على ملأ المسلمين.

أنواع التعايش في صلح الحديبية:

المتأمل في بنود صلح الحديبية يكتشف أنه أوجد العديد من أنواع الأمن والتعايش السلمي بين المسلمين والمشركين مثل:

1–التعايش السياسي: حيث أعطت الهدنة فرصة للمسلمين لنشر الإسلام وتعريف الناس به؛ مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه، يقول الإمام الزهري: (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تلك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر).

وعقب عليه ابن هشام بقوله: والدليل على قول الزهري: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.(١)

٢ – **التعايش الأمني**: فقد أمن المسلمون جانب قريش، حيث ظلت هذه الجبهة مفتوحة منذ الهجرة إلى المدينة ، أي ستة أعوام لم تهدأ فيها حملات المشركين ضد المسلمين وكذلك أمن المشركون جانب المسلمين.

٣– **تعايش دولي** : حيث ساعد صلح الحديبية النبي – صلى الله عليه وسلم – على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والحبشة والقبط وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام، والدخول معه فى حالة السلم والأمان هم وشعوبهم (أسلم تسلم) ؛ كذلك اعترفت قريش(كدولة)– من خلال المعاهدة– بكيان (الدولة) المسلمة، فالمعاهدة دائمًا لا تكون إلا بين ندين.

٤– تعايش اقتصادى : حيث سمحت المعاهدة– ضمنًا– بمرور قوافل قريش التجارية إلى بلاد الشام عبر المدينة،كذلك مكنت المعاهدة المسلمين من القدوم إلى مكة والتجارة فيها وخاصة في مواسم الحج ،والجميع– من الطرفين– آمنون على دمهم وأموالهم.

٥ – **تعايش ديني**:حيث سيذهب المسلمون في العام القادم للحج أو العمرة في مكة في أمان دون اعتراض من قريش أو صد عن البيت الحرام، وبسبب هذا تيقن الكثير من المشركين بغلبة الإسلام، وقد تجلت بعض مظاهر ذلك في مبادرة كثير من عظماء قريش إلى الدخول في الإسلام

(١) – ابن هشام:السيرة النبوية، ج٣ص٢١٠، ٢١١، الكلاعي:الاكتفاء،ج٢ص١٥٢.

مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص،وطلحة بن عثمان، كما تجلت في مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم.

٦- تعايش اجتماعي : حيث طئ صفحات الماضى بما فيها ، وبدء صفحة جديدة من التعايش لا غل ولا حقد فيها .

وعلى الجملة،كان صلح الحديبية سببًا ومقدمة لفتح مكة،فقد قيل: كانت الهدنة مقدمة بين يدى الفتح الأعظم، الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، فكانت هذه الهدنة بابًا له ومفتاحًا ومؤذنًا بين يديه،وهذه عادة الله في الأمور العظام التي يقضيها قدرًا وشرعًا أن يوطيء لها بين يديها بمقدمات وتوطئات تؤذن لها وتدل عليها.(١)

لقد أيقن الصحابة الكرام أن الدعوة قد دخلت في طور جديد وفتح أكيد،وآفاق أوسع،وامتداد أرحب،وأن من طبيعة هذا الدين أن ينمو ويعيش في أجواء السلم والأمن والتعايش مع الآخر، أكثر منه وقت الحرب،ولمسوا مع الأيام فضل هذه المعاهدة التى أتاحت التعايش ونبذ الكراهية حتى مع الأعداء.

(١) – الشيخ أبوزهرة:خاتم النبيين،ج٢ص٧٦١،محمدأبوشهبة،السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة،دارالقلم،دمشق،بدون،ج٢ص٣٤٠

(سياسة الدولة الإسلامية تجاه الصابئة والمجوس)

ثمة أديان أخرى ذكرها القرآن الكريم ، كالصابئة والمجوس ،ويشترك هؤلاء مع عُباد الأصنام كونهم لا يتبعون رسالة نبي من الأنبياء ، بخلاف الأديان السماوية التى تعد النبوة أحد أهم أصولها.

١) – الصابئة:

ذكرت هذه الطائفة من الناس في ثلاثة مواضع من القرآن ؛ فأولها في قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [١]، والثاني في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [٢]، والثالث قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [٣] .

قال ابن قيم الجوزية[٤]:هذه أمة قديمة قبل اليهود والنصارى ، وهم أنواع : صابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، وكانت مدينة "حران" دار مملكة هؤلاء قبل المسيح ، ولهم كتب وتآليف وعلوم ، وكان في بغداد منهم طائفة كبيرة ، وأكثرهم فلاسفة ولهم مقالات مشهورة ذكرها أصحاب المقالات.

---

(١) – سورة البقرة:آية ٦٢.

(٢) – سورة الحج: آية ١٧.

(٣) – سورة المائدة: آية ٦٩.

(٤) – أحكام أهل الذمة ،ج١ص٩٢ – ٩٨.

وخلاصة القول عنهم: أن فيهم المؤمن بالله وأسمائه وصفاته وملائكته ورسله واليوم الآخر وفيهم الكافر ، وفيهم الآخذ من دين الرسل بما وافق عقولهم واستحسنوه ، فدانوا به ورضوه لأنفسهم.

والملاحظ: أن الآيات السابقة تثبت للصابئة إيماناً بالله واليوم الآخر ، إلا أن طائفة منهم صبأوا أي خرجوا من عبادة الله إلى عبادة الكواكب أو الملائكة ، وحرَّفوا دينهم كما تحرفت سائر الأديان ، فمن مات من هؤلاء قبل أن تبلغه دعوة الحق فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.[1]

[1]–الطبري :تفسير ،ج١ص ١٤٧ ،ابن كثير :تفسير ،ج١ص ٢٨٤.

٢) – أما المجوس:

فهم عبدة النيران القائلين أن للعالم أصلان: نور، وظلمة ، وقد قيل: إن هذا الدين كان من عهد قابيل، كما ذكرالطبري[١]: أنه لما قتلَ قابيلُ هابيلَ، وهرب من أبيه آدم عليه السلام، أتاه إبليس، فقال له: إن هابيل إنما قُبل قُرْبانه وأكلته النار، لأنه كان يخدُمها ويعبدها، فانصِبْ أنت أيضًا نارًا تكون لك ولعَقِبك، فبنى بيت نار،فكان أول من فعل ذلك ، وانتشرت هذه النحلة في بلاد فارس بعد ذلك ، فبنوا للنار بيوتًا كثيرة وعبدوها ، كما خصَّصوا لها الأوقاف والسدنة والحُجاب ،فلا يدعونها تخمد لحظة واحدة. [٢]

وقد ذكر الله تعالى المجوس في القرآن الكريم فقال:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " [٣]،والمعنى كما قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين، ومن سواهم من اليهود والصابئين ... والنصارى والمجوس، والذين أشركوا فعبدوا غير الله معه؛ فإنه – تعالى– يفصل بينهم يوم القيامة، ويحكم بينهم بالعدل ، فيدخل من آمن به الجنة،ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم،عليم بسرائرهم ،وما تكن ضمائرهم ".[٤]

---

(١) – تفسير ،ج١ص١٤٧.

(٢) – ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان ،ج١ص٩٨٨.

(٣) – سورة الالحج:آية ١٧.

(٤)– ابن كثير :تفسير،ج٢ص٤٤٥.

والمواطنة التى منحتها الدولة الإسلامية للمسلمين واليهود والمسيحيين المقيمين فيها ،منحت أيضًا لأصحاب ديانات لاتعتبر ديانات سماوية ولا يؤمن أصحابها بالتوحيد ،مثل المجوس الذين اعترف بأنهم أهل ذمة،منذ قبلت منهم الجزية على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وفي وقت من الأوقات كان لهم كاليهود والنصارى رئيس يمثلهم في قصر الخلافة ودار الحكومة. [1]

وعليه فإن سياسة الدولة الإسلامية تجاه هؤلاء، كانت تقوم على حسن معاملتهم ودعوتهم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة إن وجد منهم اليوم بقية ، ويدخل معهم كل ما استحدثه الناس من أديان مختلفة إلى يوم القيامة ، لأن الله أمرنا بحسن معاشرة الناس جميعاً الموافقين والمخالفين ، حيث قال :"وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " [2]، والقول الحسن يشمل الأقوال والأفعال والمعاملات.

---

[1] – آدم متز :الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ترجمة:محمد عبد الهادي أبو ريدة ،الهيئة المصرية العمة للكتاب(طبعة خاصة بمكتبة الأسرة) ،مصر ٢٠٠٨م ،ص ٧٠.

(٢) – سورة البقرة:آية ٨٣.

خاتمة البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله،وعلى آله وصحبه وسلم..... وبعد.

فقد تبين في الصفحات السابقة كيف تعاملت الدولة الإسلامية مع المخالفين أثناء عصرى النبوة والخلافة الراشدة ، وأن التعايش السلمي ونبذ الكراهية مبدأ إسلامي أصيل لا يمكن الاستغناء عنه ،ويمكن استخلاص العديد من النتائج ومنها:

١)- أن سياسة التعايش السلمي التي أقرتها الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين، والتي هى جزء من الحضارة الإسلامية؛هذه السياسة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢)- أن من سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين،دعوة أهل الكتاب إلى التواصل واللقاء ،وتفعيل الثوابت الدينية لإرساء قواعد التعايش المشترك بين الأديان.

٣)- منذ وصول الرسول – صلى الله عليه وسلم- المدينة المنورة ،أظهر للجميع أنه لم يقدم للحرب،بل للتعايش مع أهل المدينة ومن حولها،لذلك أول ما فعل هو عقد معاهدات تعايش مع قبائل صغيرة حولها، ليبعث برسالة سكينة وطمأنينة للجميع.

٤)- كانت صحيفة المدينة بين المسلمين ويهود المدينة أساس التعايش السلمي بينهما ،ثم عقدت معاهدات مع النصارى ؛فأصبح هناك تعايش بين المسلمين وأهل الكتاب جميعًا.

٥)- مما جاء في صحيفة المدينة أن الناس شعوبًا وقبائل يعيشون في إطار الوحدة الإنسانية الجامعة ،الكل عليه واجبات وله حقوق، دون النظر للدين أو العِرْق أو اللون.

٦)- أشارت الصحيفة أن حقوق المواطنة هى"ضرورات إنسانية"،لا يمكن التنازل عنها أو بعضها.

٧)- أن الخلفاء الراشدين ساروا على نهج النبي- صلى الله عليه وسلم- في التعامل مع غير المسلمين ، وأصبح التعايش سياسة عامة لكل الحكام المسلمين ، باستثناء بعض الحكام الذين تميزت فترات حكمهم بالظلم ، ظلم أهل الكتاب والمسلمين أيضًا .

٨)- رصد المؤرخون العديد من المواقف التاريخية التي تثبت تبني التعايش السلمي مع غيرالمسلمين، منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة.

٩)- أن الجزية لم تكن اختراعًا إسلاميًا،وإنما كانت موجودة في الأمم السابقة، وأنها في الإسلام تعد بديلًا للجندية،تسقط بمجرد انضمام الكتابي للجيش أو تقديم أي نوع من التعاون العسكري للمسلمين أثناء حربهم مع العدو.

١٠)- أثبتت مظاهر التعايش السلمي بين المسلمين والمخالفين من أهل الكتاب أن وحدة أصول الأديان الثلاثة – (اليهودية والمسيحية والإسلام)- يجعلها قريبة من بعضها من بعض إلى الحد الذي يسمح بفتح آفاق التحاور بينها.

١١)- منذ هجرته من مكة إلى المدينة المنورة،ولمدة ست سنوات تمنى الرسول عقد معاهدة تعايش سلمي مع مشركي مكة،ولم يتحقق ذلك إلا في صلح الحديبية العام السادس الهجري.

١٢)- أثبت التاريخ أن المسلمين قبلوا إجارة المشرك والتعايش معه حتى في وقت الحروب معهم.

١٣)- أن المواطنة التي منحتها الدولة الإسلامية للمسلمين والمسيحيين واليهود المقيمين فيها، مُنحت أيضًا لأصحاب الديانات الغير سماوية،مثل المجوس الذين كان لهم رئيس يمثلهم في قصر الخلافة، مثلهم مثل اليهود والنصارى .

وبهذه السياسة، حافظت الدولة الإسلامية على نسيج المجتمع وروابطه وقيم الإخاء والتسامح والتعايش بين أصحاب الديانات المختلفة منذ عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم–وعبر عصور التاريخ الإسلامي.

المصادر والمراجع

أولا:المصادر :

ابن اسحاق" محمد بن إسحاق بن يسار المدني" ت:١٥١ هـ

١)- السير والمغازي،تحقيق/سهيل زكار،دار الفكر،بيروت،ط(١)،١٩٧٨م.

-البخاري:" أبو عبد الله محمد بن إسماعيل " ت:٢٥٦ هـ

٢)- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه-(صحيح البخاري)،تحقيق د.مصطفى ديب البغا،دار ابن كثير،اليمامة،بيروت ط٣ ١٩٨٧م.

-البيهقي: "أبوبكرأحمد بن الحسين" ت: 458 هـ

٣)- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني،مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،ط١ ١٣٤٤ هـ.

الترمذي:"محمد بن عيسى ": ت: 279 هـ

٤)- السنن،تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرين ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت (دت).

-ابن الجوزي "عبد الرحمن بن على بن محمد": ت:٥٩٧ هـ

٥) - زاد المسير في علم التفسير،المكتب الإسلامى، بيروت،ط(٣) ١٤٠٤هـ

-الحاكم"محمد بن عبدالله: ت:٤٠٥ هـ

٦) – المستدرك على الصحيحين،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية – بيروت،(ط)١ ١٩٩٠م.

ابن حجر العسقلاني "شهاب الدين أحمد بن على" ت ٨٥٢هـ.

٧)– المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية،تحقيق/مجموعة من المحققين،دار العاصمة،السعودية،١٤١٩ هـ.

–أبو داود"سليمان بن الأشعث السجستاني": ت: 275 هـ

٨) – السنن،تحقيق: أحمد سعد علي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصرط١ ١٩٥٢م.

–ابن سعد:"محمد بن سعد بن منيع ": ت:٢٣٠ هـ

٩) – الطبقات الكبرى،إتحقيق:حسان عباس، دار صادر– بيروت ط١ ١٩٦٨م.

– ابن سيد الناس" محمد بن محمد " ت:٧٣٤هـ

١٠) –عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،دارالقلم، بيروت،ط١ ١٩٩٣م.

– الشافعي" محمد بن إدريس الغزى" ت: ٢٠٤ هـ

١١) – كتاب: الأم ،نشر دار المعرفة – بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠.

–الصالحي: محمد بن يوسف ت:942 هـ

١٢) – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق:الشيخ عادل أحمد

عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض الناشر :دارالكتب العلمية بيروت،لبنان الطبعة:الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

الصفدي "صلاح الدين خليل بن أيبك" ت: ٧٦٤هـ.

١٣)- الوافي بالوفيات ، دار فرانز شتاينر ، ألمانيا ،سنة ١٩٩٢م

- الطبري "أبوجعفر محمد بن جرير " ت:٣١٠ هـ

١٤) - تاريخ الرسل والملوك،دار المعارف،مصر،ط٤ ١٩٦٧م.

١٥) - جامع البيان في تأويل القرآن،أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان،ط١ ،٢٠٠٠م .

الطحاوي" أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري" ت:٣٢١ هـ

١٦)- شرح مشكل الآثار،تحقيق/شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط(١) ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧م

- ابن عبدالحكم:عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم المصري" ت:٢٥٧ هـ

١٧) - فتوح مصر وأخبارها تحقيق:محمد الحجيري ط١، دار الفكر،بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

-عبد الرازق:"أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني " ت:٢١١هـ

١٨)- المصنف، تحقيق/حبيب الرحمن الأعظمي،المكتب الإسلامي،بيروت،ط(١) ١٩٨٣م

-أبوعبيد:"القاسم بن سلام " ت: 224 هـ

١٩) - الأموال،تحقيق محمد خليل هراس،مصر ط،١٩٦٨م.

- القرطبي:"محمد بن أحمد الأنصاري" ت:٦٧١ هـ

٢٠) - الجامع لأحكام القرآن- تحقيق/ محمد البلاوي وآخرين،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،بدون تاريخ.

ابن قيم الجوزية: " محمد بن أبي بكر بن أيوب " ت:٧٥١ هـ

٢١) - أحكام أهل الذمة، طبعة ثانية، دارالعلم للملايين، بيروت ١٤٠١هـ.

٢٢) - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق:محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢ سنة ١٩٧٥م.

٢٣) - زاد المعاد في هدي خير العباد،تحقيق:شعيب الأرناؤوط ، عبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ،ط١٤ ،١٩٨٦م.

- ابن كثير" إسماعيل بن عمر " ت:٧٧٤ هـ

٢٤) - البداية والنهاية ،مكتبة المعارف - بيروت ،(د ت).

٢٥) - تفسير القرآن العظيم ،تحقيق:سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢،١٤٢٠هـ

الكلاعي:"أبوالربيع سليمان بن موسى الأندلسي" ت:٦٣٤ هـ

٢٦) - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ،تحقيق:محمد كمال الدين علي،عالم الكتب،بيروت، ط١ ١٤١٧هـ

- مسلم:" مسلم بن الحجاج أبو الحسين " ت:٢٦١ هـ

٢٧) – صحيح مسلم،محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت

- ابن منظور "محمد بن مكرم المصري" ت: ٧١١هـ.

٢٨) لسان العرب – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى.

ابن هشام:"أبومحمد عبدالملك بن أيوب" ت:٢١٣ هـ

٢٩) – السيرة النبوية ، دار الفجرللتراث، مصرط٢ ٢٠٠٤م .

– الواقدي:"أبوعبد الله محمد بن عمر " ت:٢٠٧ هـ.

٣٠)– فتوح الشام، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط (١)،١٩٩٧م .

٣١) – مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق/مارسدن جونس،عالم الكتب،بيروت،لبنان،ط(١)٢٠٠٦م.

– ياقوت الحموي: "ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله" ت:٦٢٦ هـ

٣٢) – معجم البلدان ،دار الفكر – بيروت،(دت).

أبو يوسف" يعقوب بن إبراهيم بن حبيب " ت: 182 هـ

٣٣) – الخراج ، دار المعرفة ، لبنان ١٩٧٩م.

ثانيا:المراجع

أحمد إبراهيم الشريف:

٣٤)– مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول(صلى الله عليه وسلم)،دار الفكر العربي، مصر ١٩٨٥م.

أحمد الجهيني ومحمد مصطفى :

٣٥)- الإسلام والآخر،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٧م.

أدم متز:

٣٦) - الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجري،ترجمة:محمد عبد الهادي أبو ريدة،الهيئة المصرية العمة للكتاب(طبعة خاصة بمكتبة الأسرة)،مصر٢٠٠٨م.

أكرم العمري :

٣٧)- السيرة النبوية الصحيحة،محاولة لتطبيق قواعد المحدثين فى نقد روايات السيرة النبوية،مكتبة العبيكان،الرياض،ط(٥)، ٢٠٠٣م

- بركات أحمد:

٣٨) - محمد واليهود، نظرة جديدة،ترجمة،محمود على مراد،مكتبة الأسرة،مصر ١٩٩م.

توفيق السديري:

٣٩)- الإسلام والدستور ،وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١ ١٤٢٥هـ

- توماس أرنولد:

٤٠) - الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرين، القاهرة ،ط٢ ١٩٥٨م.

- حامدأحمدالطاهر:

٤١) - غزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم- ،دارالفجرللتراث،مصر ط١ ٢٠٠٧م.

- سامي عبدالله المغلوث:

٤٢)- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم)،مكتبة العبيكان،الرياض،ط(٤) ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م.

- سرجنت

٤٣) - دستور المدينة"،المجلة الاسلامية ربع السنوية،مج ٨، ١٩٦٤م.

- فهمي هويدي:

٤٤) - مواطنون لا ذميون،دار الشروق،مصر،ط (٣) ٢٠٠٥م.

- محمد أبوزهرة:

٤٥) - خاتم النبيين، دارالفكر،القاهرة ،١٤٢٥ هـ ،ج٢ص٧٦١ .

محمد سيد طنطاوي:

٤٦)- التفسير الوسيط ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط(١) ١٩٩٧م.

- محمدأبوشهبة

٤٧) - السيرةالنبوية فى ضوء القرآن والسنة،دارالقلم،دمشق،بدون.

محمد حميدالله :

٤٨) - أول دستور مكتوب فى العالم، لاهور ١٩٦٨م.

٤٩) - مجموعة الوثائق السياسيةللعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الارشاد، بيروت،١٩٦٩م.

- محمد عبد العزيزحمادة:

٥٠) – مفهوم التسامح فى الإسلام بين الماضي والحاضروأثره فى التواصل ،رؤية تحليلية ، نشر الباحث ، القاهرة سنة ٢٠١٧م.

– محمد عمارة :

٥١) – الإسلام وحقوق الإنسان، ضرورات لا حقوق ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٨٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت مايو ١٩٨٥م،ص١٥.

٥٢) – الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، دار الشروق ، مصر ط٣ ١٢٠٠٣م ص١١.

٥٣) – فى المسألة القبطية حقائق وأوهام ،مكتبة الشروق ، مصرط١ ٢٠٠١م

محمد الغزالي:

٥٤)– فقه السيرة ،دار القلم ،دمشق ،ط(٣) ١٩٨٧م.

محمود علي مراد :

٥٥) – تحليل نقدي لصحيفة يثرب ولأراء المستشرقين بشأنها ،نشر الباحث ٢٠١٢م.

– مهدي رزق الله أحمد:

٥٦)– السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ،الرياض ط(٢) ١٤٢٤.

وهبة مصطفى الزحيلي:

٥٧)– التفسير الوسيط،دار الفكر،دمشق ط(١) ١٤٢٢ هـ.

الفهرس العام

م	الموضوع
١-	المقدمة
٢-	الفصل الأول: (سياسة الدولة الإسلامية تجاه أهل الكتاب)
٣-	المبحث الأول: (صحيفة المدينة أساس التعايش)
٤-	أهل الكتاب في القرآن الكريم
٥-	أولا:معاهدة النبي- صلى الله عليه وسلم- مع اليهود.
٦-	ظروف توقيع الصحيفة وأطرافها.
٧-	تاريخ توقيعها وأطرافها.
٩-	نصوص الصحيفة الخاصة باليهود والتعليق عليها.
١٠-	الأدلة على صحة الصحيفة تاريخيًا.
١١-	نقض اليهود للصحيفة.
١٢-	ثانيًا: من عهود النبي والخلفاء الراشدين للنصارى.
١٣-	أ)- من عهود النبي للنصارى
١٤-	ب)- من عهود الخلفاء الراشدين للنصارى
١٥-	المبحث الثاني: مظاهر من تعامل الدولة الإسلامية مع أهل الكتاب.
١٦-	قراءة جديدة لمصطلح " الجزية في التاريخ الإسلامي".
١٧-	هل الجزية اختراع إسلامي ؟
١٨-	القواسم المشتركة بين الأديان.

١٩-	الفصل الثاني: سياسة الدولة الإسلامية تجاه المشركين.
٢٠-	تمهيد: بعض ما جاء في القرآن الكريم عن التعايش معهم.
٢١-	المبحث الثاني: معاهدات الرسول- صلى الله عليه وسلم- مع المشركين.
٢٢-	أولاً:معاهدات الرسول مع القبائل العربية حول المدينة.
٢٣-	ثانيًا: معاهدة الرسول- صلى الله عليه وسلم- مع قريش.
٢٤-	صلح الحديبية أنموذج للتعايش مع المشركين.
٢٥-	أولاً:مباحثات وضع البنود.
٢٦-	ثانيًا:بنود المعاهدة.
٢٧-	ثالثًا:أنواع التعايش في صلح الحديبية.
٢٨-	سياسة الدولة الإسلامية تجاه الصابئة والمجوس.
٢٩-	الصابئة.
٣٠-	المجوس.
٣١-	خاتمة البحث.
٣٢-	المصادر والمراجع.
٣٣-	أولاً:المصادر.
٣٤-	ثانيًا:المراجع.
٣٥-	الفهرس العام.